حراس الشريعة

مجلة إسلامية شهرية

العدد الأول - جمادى الأولى ١٤٣٤

التكالب العالمي على سوريا

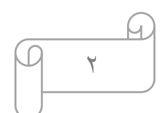
من أجل نخبة نسائية مثقفة

نظرات في ضرورة النقد

عقبات على طريق الخلافة

هل حدثت نفسك بالغزو؟

المحتوى



افتتاحية العدد

حراس الشريعة



بسم الله نبدأ مسيرتنا، ومنه تعالى وحده نستمد عزيمتنا، والصلاة والسلام على نبي أمتنا، وبعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته قراءنا الكرام.

ما أحوجنا إلى تعدد المنابر التي تعبر عن الصراط المستقيم الذي لا عوج فيه، والذي أخبرنا الله تعالى أنه واحد لا يتعدد؛ بل وأمرنا سبحانه أن نتبع هذا الصراط وألا نتبع غيره حتى لا نضل عنه؛ قال الله تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: ١٥٣]

ما أحوجنا إلى منبر لا يستسلم لضغط الواقع، ولا يضفي عليه الشرعية، ولا يبرره؛ بل يتصدى له بقوة الحق، غير عابئ ولا آبه ما دامت وجهته هي الحق، والحق وحده.

إن طريق الحق واحد لا يتعدد، وليس وراءه إلا الباطل؛ قال تعالى: {فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ} [يونس: ٣٢]

وقد بيّن لنا نبينا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم طريق الحق لا يحيد عنه إلا خاطئ؛ قال عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم:

"قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يَعِش منكم بعدي فسيرى **اختلافًا كثيرًا**؛ فعليكم **بما عرفتم** من سُنتي وسُنة الخلفاء الراشدين المهديين، **عضوا** عليها بالنواجذ...". [أخرجه أحمد وابن ماجه]

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "تُرِكْتُم على الواضحة، ليلها كنهارها، وكونوا على دين الأعراب، وغلمان الكُتَّاب". قال ابن الأثير: أراد بقوله: "دين الأعراب وغلمان الكُتَّاب": الوقوف عند قبول ظاهر الشريعة، واتباعها من غير تفتيش عن الشُّبَه، وتنقيرٍ عن أقوال أهل الزيغ والأهواء. [جامع الأصول (٢٩٢/١)]

من هنا جاءت فكرة مجلة (حُراس الشريعة)؛ لتحاول أن تُبين بجلاء الصراط المستقيم، ليس هذا فقط بل وترشد الطالبين إلى معالمه، ولتمسك بحُجَزهم كي لا يشذوا عنه.

وفي الختام: إن مجلة (حُراس الشريعة) ترحب بكل قلم يدعو ويدافع عن الحق، ويجيد إيصال المعنى، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

«إنما بعثتُك لأبتليك»!

خالد الأزهري السلفي



أحمد الله عز وجل وأسبح بحمده، وأصلي وأسلم على نبيّه وعبده، وآله وصحبه من بعده؛ أما بعد:

فليس (العلم) بالوحي و(العلم) بمعناه، ثم (العمل) بمقتضاه سوى: (كلِّ) ما هو مطلوب من الخلق بلا استثناء، وهو مشمولُ قولِ الله تعالى {ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} كما هو معلوم، أي: ليذعنوا بالعبودية، وهو معنى التوحيد.

ومعلوم أن اتباع الوحي – وحده – علمًا وعملاً، الذي هو التوحيد، والإيمان، والمراد من الخلق: هو «الصراط المستقيم» الذي أمر الله بلزومه وسؤاله في نحو قوله: {اهدنا الصراط المستقيم} بإجماع المفسرين، ثم تختلف عباراتهم في التعبير عن «الصراط المستقيم»، وكلُّ عباراتهم تدل على (الوحي)، فالوارد لا يَخرج عن «الحق» وهو أشملها، و«الدين الذي لا يُقبل غيره» و«الإسلام»، و«كتاب الله»، و«النبي صلى الله عليه وسلم وصاحباه أبو بكر وعمر». وكلّ ذلك هو (الطريق الواضحة) الذي هو (الصراط)!

قال ابن كثير: «وكلُّ هذه الأقوال صحيحةٌ، وهي متلازمةٌ ... كلُّها صحيحة يصدِّق بعضُها بعضًا، ولله الحمد». [انظر تفسير الآية عند الطبري، وابن كثير].

وقد أخبر الله تعالى في محكم كتابه أهمَّ خصائص (الوحي) التي جعلته مصدر الصلاح الوحيد المتفرّد دون غيره، للواحد والمجموع، وهذا في نفسه نعمة بالغة، حاسمة للنزاع قاطعة للريب والشك الذي عساه كان يطرأ في معرفة (طريق الإصلاح)؛ نعمةٌ استحقت الحمد والشكر!

وأهمها خصيصتان:

الأولى: أن الوحي محفوظ من قبل الله لفظًا ومعنًى:

وهذا في نحو قوله تعالى: {إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون}، وقوله: {وإنه لكتابٌ عزيزٌ لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفِه تنزيلٌ من حكيمٍ حميد}، وقوله: {إنَّ علينا جمعَه وقرآنَه فإذا قرأناه فاتبعْ قرآنَه ثم إنَّ علينا بيانَه}.

والثانية: أن الوحي قد بيَّن كلَّ ما يحتاج إليه الناس في إصلاح الدنيا والآخرة!

وهذا في نحو قوله تعالى: {ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء}، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «قد بيَّن لنا في هذا القرآن كلَّ علم وكلَّ شيء»، وقال السعدي رحمه الله: «قوله: {ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء} في أصول الدين وفروعه، وفي أحكام الدارين» حتى قال: «فلمّا كان هذا القرآن تبيانًا لكل شيء صار حجة الله على العباد كلهم؛ فانقطعت به حجة الظالمين وانتفع به المسلمون».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «تكفّل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه: ألا يضلَّ في الدنيا، ولا يَشقى في الآخرة»، ثم قرأ {فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى}.

* **ومع هذه الحال:** لم يَبق للشيطان سبيل على أمة الإسلام في تحريف الوحي، كما كان له مع الأمم السابقة سبلًا؛ لكنّه – أخزاه الله – أقسم فقال: {لأقعُدَنَّ لهم صراطَكَ المستقيم} أي: الوحي أو الإسلام أو الحق، {ثم لآتِيَنَّهُم مِن بين أيديهم بالتشكيك في الآخرة، {ومن خلفهم} بالترغيب في الدنيا، {وعن أيمانهم} بالشبهات، {وعن شمائلهم} بالشهوات.

[يراجع تفسير الطبري وابن كثير].

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إنَّ الصراط محتضَر تحضُره الشياطين، ينادون: يا عبد الله! هلمَّ هذا الطريق، ليصدّوا عن سبيل الله».

* **وإذا كان العلم بالوحي والعمل به هو كل المطلوب، وإذا كان الوحي محفوظًا لفظًا ومعنًى،** وإذا كان قد بيِّن فيه كلُّ ما يُحتاج إليه في الدنيا والآخرة، فما أحراه أن يكون معتصَم الناس ومفزَعهم إذا قُدّر خلاف، بحيث يؤمرون أن يَردّوا كلَّ خلافٍ إليه وحده، ومن قبل ذلك يؤمرون بالاعتصام به دون سواه.

قال الله: {واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا}، وقد صحّ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه — وغيرِ واحد من السلف – أنه قال: «حبلُ الله: القرآن»!

وأمّا الردّ إلى **(الوحي)** حالَ الخلاف فهو مشهور معلوم، مفهوم مذكور في قوله تعالى: {فإنْ تنازعتم في شيء فَرُدُّوه إلى اللهِ وإلى الرسول}، قال ابن كثير رحمه الله: «قال مجاهد وغير واحد من السلف: أي:

إلى كتاب الله وسنة رسوله، وهذا أمر من الله عز وجل بأنّ كلّ شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه؛ أن يُردَّ التنازعُ في ذلك إلى الكتاب والسنة».

* **ومع ذلك فمما يُسلَّم أنَّ أفراد الأمة المسلمة لم يكونوا يومًا على قدرٍ واحدٍ من الاعتصام بالوحي (القرآن والسنة)؛ فهم متفاوتون في العلم بورود نصِّ الوحي، والعلمِ بمعناه وما يقتضيه من العمل، هذا؛ فضلًا عن التفاوت في العمل بالوحي حتى بعد العلم بمعناه.**

فهذه ثلاثة أمور ليس لها رابع يتفاوت الناس فيها بالنسبة لأخذهم الوحي: العلم بوروده، والعلم بمقتضَاه، والعمل به!

وكلُّ ذلك لا يكون إلا بسبب الجهل، أو الاشتهاء، أو الاشتباه.

* وإذا كان الشيطان قعد للمسلمين طريق الوحي الواضحة يصدّهم عنها بالشبهة أو الشهوة؛ أو بهما معًا، فلا شكّ أنه ما من فتنة تُخشى، ولا ملمّةٍ تَنزل، ولا مصيبةٍ تَحُلّ؛ إلا كان (الردّ إلى الوحي) هو العلاجَ الناجع الأوحد، وسواء في ذلك ما تعلق بالفرد أو بالجماعة، وما كان حقيرًا وما كان عظيمًا.

وهذه هي سبيل النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة من صحابته والتابعين فمن بعدهم من أئمّة الدين، وهي سبيل المتشرِّعة لا ينكبون عنها ولا يحيدون، فلم تنزل نازلة عامة بالأمة، ولا ألمّت ملمّة، إلا كان (إمامُ هدى) العصر دالًّا على الوحي وحده، رادًّا إليه بمجرده، ووقائع ذلك لا تحصى كثرةً، لا سيّما في أشدّ الفتن التي ألمّت بالمسلمين في تاريخهم.

* **فالنبي صلى الله عليه وسلم**، إمام أئمة الهدى من جنس المخلوقين، لمّا اشتدّ أمر صلح الحديبية على كثير من أصحابه، وأجلّهم عمر بن الخطّاب – وهو من هو – إذ **اشتبه** عليه معنى بعض **(الوحي)**، فذهب وهو يجد في نفسه ما يجد من أمر الصلح مع الكفار وشرائطه، يسأل: ألستَ نبيَّ الله؟ ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ فلمَ نعطي الدنيَّة في ديننا (؟)؛ فما زاد النبي صلى الله عليه وسلم على تذكيره بكونه الرسول، الموحَى إليه، المتبع لأمر الله، ثم أنّ هذا بمجرده كافٍ في استجلاب نصر الله، «إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري».

ثم كان من الصحابة رضوان الله عليهم ما كان من مبالغة في اتباع

(**الوحي**) بالحلق والنحر إذ ألمّت بهم هذه الفتنة؛ حتى كاد « بعضُهم يَقتل بعضًا» من الغمّ، وقد عُلم ما كان من بركة (التسليم للوحي) من نزول الآيات من سورة «الفتح»، وقولُ عمر بعد أن أقرأه النبيُّ إياها: «يا رسول الله أَوَفتحٌ هو؟»، قال: «نعم»، فطابت نفسه ورجع!

[راجع الصحيحين: البخاري (٢٧٣٠)، ومسلم (١٧٨٥)].

وكل ذلك من بركة الدلالة على (الوحي) لا سيما في الفتن، ثم بركة اتباعه والاعتصام به.

وقد تعلّم الصحابة هذا المعنى كأحسن ما يكون التعلم، وتلقوه وبلّغوه كأبلغ ما تكون الأمانة يبلِّغها (أئمة الهدى)!

فهذا سهل بن حُنيف رضي الله عنه، يقوم يوم صفين حاثًّا على درء الفتنة فيقول: «أيها الناس اتهموا أنفسكم! لقد كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ولو نرى قتالًا لقاتلْنا»، ثم يسوق قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه السابقة. [صحيح مسلم (١٧٨٥)، وشرح النووي].

(**فالوحي**) هو الحق والمعروف والمطلوب؛ مهما استغلق فهم وجه كونه كذلك، وما عداه هو الباطل والمنكر والمرغوب عنه؛ مهما استغلق استيضاح ذلك.

ووظيفة (**إمام الهدى**)، **بل الواجب عليه** أن يدلَّ الخاصة والعامة من الناس وقت الفتن والشبهة على (الوحي)! ولا يسكتُ عن هذه الدلالة أو يدلُّ على غير الوحي إمامُ هدًى قطّ!

* **وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما**، على خطا (**أئمة الهدى**)، يسلك في مناظرته مع الخوارج مسلكهم، ويتبع آثارهم، ولا عجب أن يهتدي إلى الرُّشدِ نصفُ الخوارج ببركة الدلالة على (الوحي)! فهو أحد أفذاذ أمة محمد صلى الله عليه وسلم علمًا وعملًا.

يقف ابن عباس أمام فتنةِ أوّلِ مَن كفّر المسلمين بالذنب، وقد تسلّح (بالوحي) يستمع إلى (شبهات) القوم في واحدة من أعتى الفتن التي ألمّت بالأمة المسلمة في تاريخها؛ فيقول لهم وقد عرضوا شبههم: «أرأيتَكم إن قرأتُ عليكم من **كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه و سلم** ما يردّ قولَكم؛ أترجعون؟»، وفي رواية: «أرأيتكم إن أتيتكم من **كتاب الله المحكم ما تعرفونه، ومن سنة رسول**

الله ما لا تنظرون، هل أنتم راجعون؟»، فدلّهم على (**الوحي**)، و(معناه)، و(ما يقتضيه من عمل)! فكان بذلك هاديًا للضالّ، دارئًا للفتنة، مستفرغًا الوسع في الاتباع!

[يراجع: المصنف لعبد الرزاق (١٠/ ١٥٧)، وسنن النسائي (٧/ ٤٨٠)، والأموال لابن زنجويه رقم (٦٥٥)]

* وأحمد بن حنبل رحمه الله ورضي عنه، مآثره في خبر محنة المسلمين معلومة، وقصته في فتنة خلق القرآن مشهورة، والعبر فيها متكاثرة، والدلالة فيها على المراد أوضح من الشمس!

كُبّلَ أحمد في قيوده بين يدي المعتصم، والفتنة في أشدّها، يناظرونه في محبسه، ويحاولون (التخييل) و(التشبيه)، وهو ثابت في جوابه كلِّه على شرط واحد؛ أن يكون بالوحي لفظًا ومعنًى، فكان لا يجيبهم سوى بما ورد من (الوحي)، و(معناه)، وبما (يقتضيه من عمل)!

فلمّا استيئسوا منه وحملوه في قيوده إلى الخليفة المعتصم؛ بادر أحمدُ واستأذن في الكلام ليعظَ الخليفة!

فكان أوّل ما خاطب به المعتصمَ: «**إلامَ دعا رسول الله؟**»، فأجابه المعتصم: «إلى شهادة ألا إله إلا الله»، فثنّى أحمدُ: «إنّ جدَّك ابنَ عباسٍ يقول: لمّا قدِم وفدُ عبدُ القيس على رسول الله سألوه عن الإيمان ...» فساق له من (الوحي) ما يعظه به ويحتجّ به عليه.

على رسم أئمة الهدى، يعلم أحمدُ أنه ملاقٍ قومًا عندهم من مسالك التخييل والتشبيه العقلي الشيء الكثير، ومثله من التخييل والتشبيه على نصوص الوحي، وهو أخطر النوعين.

ويعلم أنّ مواجهة هذه الفتنة - التي كادت تحرق العامّة والخاصة - ليست إلا في الوعظ بالوحي، والدلالة على لفظه، والاتباع في تأويل معناه.

وقد علِم خصومُه أهلُ **التخييل والتشبيه**، رءوسُ الفتنة؛ أن أحمدَ مهما (استعاذ بالوحي)؛ فليس لهم عليه مِن سبيل، فاجتهدوا أن يحرِفوه عن طريقته، وبالغوا في الاجتهاد ليسلكوا به غير طريق (الوحي)، فحينئذ يقولون للمعتصم: هذا هو أحمد قد ترك (الهدَى) وشبّهَ!

قال الإمام أحمد: «لقد احتجّوا عليَّ بشيء ما يقوى قلبي ولا ينطلقُ لساني أن أحكيَه! أنكروا الآثار، وما ظننتهم على هذا حتى سمعتُه.

وجعلوا يرغون، يقول الخصم كذا وكذا، فاحتَجَجتُ عليهم بالقرآن؛ بقوله: {يا أبتِ لِمَ تعبدُ ما لا يَسمعُ ولا يُبصرُ}، أفهذا منكَرٌ عندَكم؟ فقالوا: (شبَّهَ يا أمير المؤمنين! شبّه)»!

كان أحب شيء إليهم أن يجيبَهم أحمدُ فينحرفَ عن سبيل (أئمة الهدى)، فيحملوا البشرى للخليفة أنه شبَّه؛ ولو افتراء عليه؛ وحينئذٍ؛ لا يَبقى له عند العامّة التي رضيَتْه إمامًا حرمةٌ!

قال صالح بن الإمام أحمد: «وجعل ابن أبي دؤاد يقول: (يا أمير المؤمنين، والله لئن أجابك لهو أحب إليَّ من مائة ألف دينار، ومائة ألف دينار) فيعدُّ مِن ذلك ما شاء الله أن يعدَّ، فقال [يعني المعتصم]: (لئن أجابني لأطلِقَنَّ عنه بيدي، ولأركبَنّ إليه بجُندي ، ولأطأنّ عقبَه»، يعني إكرامًا له، بل؛ فتنة الدنيا له!

لكنَّ الله امتنّ على أمّةٍ بأسرها بـ(**إمام هدى**) ليسلك بـ(**العامّة والخاصة**) منهم سنن الأنبياء والمهتدين، حتى تمرّ الأزمة!

قال الإمام أحمد: «وكان يتكلَّم هذا فأردُّ عليه، ويتكلَّم هذا فأردُّ عليه، فإذا انقطع الرجل منهم؛ اعترض ابن أبي دؤاد فيقول: (يا أمير المؤمنين، هو والله ضالٌّ مُضلٌّ مبتدِع!)، فيقول: (كلّموه، ناظروه)؛ فيكلّمني هذا؛ فأردُّ عليه، ويكلمني هذا؛ فأردُّ عليه.

فإذا انقطعوا يقول المعتصم: (ويحك يا أحمد! ما تقول؟) فأقول: يا أمير المؤمنين، **أعطوني شيئًا من كتاب الله أو سنة رسول الله حتى أقول به**، فيقول أحمد بن أبي دؤاد: (**أنت لا تقول إلا ما في الكتاب أو السنة؟**)»!

هكذا تبدو البغضاء من في المنحرف، ولا بدّ للعجب أن يتملك المتأمّل!

فكيف يجتمع لابن أبي دؤاد وحزبه - المنتسب زورًا إلى الشرع - زعمُ أن أحمد ضالٌّ، يضلُّ الناسَ، وأنهم يحملون النّاس على الحقّ والإيمان؛ كيف يجتمع هذا مع إنكارهم ألا يتكلّم أحمدُ إلا بالكتاب أو السنّة؟!

وكيف يجتمع لمنتسب إلى الشرع زعمُ العملِ على الإصلاحِ وهداية الناس وتجنيبهم الفتن، مع كراهيته لنشر (فتوى) أو (كتاب) أو (بيان) أو (مقال) فيه تبيان الوارد من (الوحي) أو (معناه) أو (مقتضاه)؟!

نعم؛ علم خصوم أحمد أنه لا سبيل إلى (**إمرار الفتنة**) إلا بـ(**الانحراف عن الوحي**) ولو أدنى انحراف؛ إلى حيث يمكن التشبيه والتخييل، حتى بلغ بهم أن أنكروا الآثار، وهو ثابت كالجبل لا يحيد عن (بيان الوحي)، طريقةِ (أئمة الهدى) في درء الفتن!

يقول المعتصم: «يا أحمد، والله إني عليك لشفيق، وإني لأشفق عليك كشفقتي على ابني هارون! ما تقول؟»، فيردُّه أحمد إلى الوحي: «أعطوني شيئًا مِن كتاب الله وسنة رسوله»، يقول المعتصم: «يا أحمد، أجبني إلى شيء لك فيه أدنى فرج حتى أطلق عنك بيدي!»، فيَثبتُ أحمد: «أعطوني شيئًا من كتاب الله وسنّة رسوله»!

وقد لقي أحمد من صنوف التعذيب تارة، والترغيب في الدنيا، والتخييل، والتشبيه، تارات؛ ما هو معلوم، وهو في كلِّ ذلك ثابتٌ على طريقة الأنبياء، فلم يُعلَم أن شبهةً ضرّته، ولم يُنقَل أن دنيا لَوّثت قلبَه، فاختار أن يكون (**إمام هدى**) عصره والأعصار بعده.

* وهذه الأمثلة القليلة وافية إن شاء الله بالمقصود، وقد كان في الخاطر الزيادة عليها، لكن لا يعسر إن شاء الله على من أراد؛ أن يزيد فيها ما شاء الله أن يزيد.

فإنَّ المتتبع للفتن العظيمة التي ألمت بأمة الإسلام على مدار تاريخها؛ لا يكاد يجد فتنة منها إلا وقد قيّض الله لها (**إمام هدًى**) يلي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حقًّا، ويسلك سبيل أئمة الهدى قبله في الأخذ بيد (العامة والخاصة) على طريق النجاة من الفتنة، لا بشيء سوى بالدلالة على (الوحي) و(معنى الوحي) و(مقتضى الوحي).

كما أنه لن يعييه أن يجد مَن تتعتَع في الفتنة من العامة والخاصة، أو تهوّكَ، أو تحيّر، وإلا لم تكن لتدعَى فتنة عامّة!

* وقد علم المسلمون جميعًا أنه ما مِن شيء يحتاجونه مِن أمر دينهم ودنياهم؛ إلا وهو مضمَّن في (الوحي) الذي هو وحده (الحق) وما عداه (باطل)، فمتى ألمت بالمسلمين ملمّة، أو نزلَت بهم نازلة ولم يَفزَع العلماءُ فيهم إلى (الوحي)، يدلّون عليه، ويبيّنونه، وينافحون عنه، ويدلّون على مواضع النجاة من هذه الفتنة فيه؛ فأيّ منكرٍ أعظم من هذا؟ وماذا بقي من السبلِ لكشف هذه الغمّة؟ بل ماذا بقي من وظائف (العالم) بعدها؟! وإلى مَن

يهرع الناس إذن إذا عمّت (شبهة) أو (شهوة) مما يلقيه الشيطان؟

* نعم؛ قد أُمِر الناسُ باتباع العلماء والانقياد لهم وتقليدهم، لكنّ ذلك لم يكن إلا لأنهم الأدلاء على الحق الذي سبق أنّه منحصر في (الوحي) و(معناه) و(مقتضاه)، لا لمجرّد كونهم أكثر اطّلاعًا أو حفظًا أو كتُبًا، أو حتى فهمًا من سائر الناس.

«فإنّ حكمةً لا يُتكلَّم بها؛ كجسدٍ لا رُوح فيه، وإنَّ علمًا لا يُخرَج؛ ككَنزٍ لا يُنفَق» [يراجع أخلاق العلماء، الآجري ص (٢٩)]، و(**أئمة الهدى**) هم الربانيون الذين (يُعلِّمون الكتاب)، وهم كما قال ابن القيم رحمه الله: «بهم يَهتدي الحيرانُ في الظّلماء».

* إذا قُدِّر الجهل بما ينفع من (الوحي) في الفتنة، أو اشتباه معناه، أو لم يُتبيّن مقتضاه على الوجه؛ أو شيء من ذلك أو بعضه عند (أكثر) العامّة مِن الناس، أو (كثير) منهم؛ لكان الواجب المتحتّم على (**أئمة الهدى**) حينئذ أن ينفقوا كلّ غالٍ ورخيص في سبيل (**بيان الوحي**) بيانًا لا كدر فيه ولا اشتباه، بحيث يفهمه العاميّ والجاهل والمتعلّم على حدّ سواء.

ومتى بقي مِن الناس مَن يشتبه عليه (الوحي)، ويلتبس عليه الحق بالباطل، فلم يجد مَن يهديه في حَيرته؛ لم يكن الساكتُ عن إرشاده مع قدرته (**إمامَ هدى**)، بل لم يكن معدودًا في العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، بل لم يكن إلا آثمًا!

وهذا هو الميثاق الغليظ الذي أخذه الله على ورثة الأنبياء، قال السعدي رحمه الله في تفسير قول الله: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾ الآية: «الميثاقُ هو العهد الثقيل المؤكَّد، وهذا الميثاق أخذه الله تعالى على كلِّ من أعطاه الكتب وعلّمه العلمَ، أن يبيّنَ للناس ما يحتاجون إليه مما علّمه الله، ولا يكتمَهم ذلك، ويبخلَ عليهم به، **خصوصًا إذا سألوه، أو وقع ما يُوجب ذلك، فإنّ كلّ مَن عنده علم؛ يجب عليه في تلك الحال أن يبيّنه، ويوضحَ الحقّ مِن الباطل.**

فأمّا الموفَّقون، فقاموا بهذا أتمَّ القيام، وعلّموا الناس مما علّمهم الله، ابتغاء مرضاة ربهم، وشفقةً على الخلق، وخوفًا من إثم الكتمان، وأما الذين أوتوا الكتاب، من اليهود والنصارى **ومن شابههم**، فنبذوا هذه العهود والمواثيق وراء ظهورهم، فلم يعبأوا بها، فكتموا الحقَّ، وأظهروا الباطل،

تجرؤًا على محارم الله، وتهاونًا بحقوق الله، وحقوق الخلق، واشتروا بذلك الكتمان ثمنًا قليلًا، وهو ما يحصل لهم – إن حصل! – من بعض الرياسات، والأموال الحقيرة، من سفلتهم المتبعين أهواءهم، المقدِّمين شهواتهم على الحق»!

* **والعالم حقًّا**: «وارثُ النبيّ؛ **فالبيانُ في حقّه لا بدّ منه مِن حيث هو عالم**، والدليل على ذلك أمران:

أحدهما: ما ثبت مِن كون العلماء ورثةَ الأنبياء، وهو معنًى صحيحٌ ثابتٌ، ويلزَم مِن كونه وارثًا: قيامُه مقام موروثه في البيان، **وإذا كان البيانُ فرضًا على الموروث؛ لزم أن يكون فرضًا على الوارث أيضًا، ولا فرق في البيان بين ما هو مشكل أو مجمَل مِن الأدلة، وبين أصولِ الأدلةِ في الإتيان بها؛ فأصلُ التبليغ: بيانٌ لحكمِ الشريعة، وبيانُ المبلَّغ: مثلُه بعد التبليغ**.

والثاني: ما جاء من الأدلة على ذلك بالنسبة إلى العلماء، فقد قال: {إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى} الآية، {ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون}، {ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله}، والآيات كثيرة ...»، [الموافقات (٤/ ٧٦، ٧٧)].

* **وكما لا يحلّ لمنتسب للعلم أن يهجر (بيان الوحي) جملةً وإلا كان تاركًا لأخص ما أوجبه الله على عالمٍ؛ فأعظم منه أن يتكلّم بالكلام المشتبه الذي لا يحقّ حقًّا فيجلّيه، ولا يُبطِل باطلا فيهدمه!**

وقد يفعل بعضهم نحو هذا بهوًى، أو لمصلحة مدّعاة لا يبيّنها أيضًا (!)؛ زاعمًا أو ظانًّا أنه قد أتى بما أوجبه الله عليه من **(بيان الوحي)**، وقارِنْ هذا بما نسبه الشاطبي رحمه الله للعلماء حقًّا حين كتب: «قد علِم العلماءُ أنّ كلَّ دليلٍ فيه اشتباهٌ وإشكالٌ: ليس بدليلٍ في الحقيقة، حتى يَتبيّن معناه ويَظهر المرادُ منه»، [الاعتصام (٢/ ٥٣) ت: الحميد]، وبما قاله النووي رحمه الله: « يَلزم المفتي أن يبيّن الجوابَ بيانًا يزيلُ الإشكال»، [مقدمة المجموع ص (٤٧)].

ثم يقول ابن القيم رحمه الله: «ينبغي للمفتي أن يَذكر دليلَ الحُكمِ ومأخذَه، ما أمكنَه مِن ذلك، ولا يلقيه إلى المستفتي ساذجًا مجرَّدًا عن دليله ومأخذِه، فهذا **لضيقِ عطنَه وقلّةِ بضاعتِه مِن العلم**، ومَن تأمّل فتاوي النبي صلى الله عليه وسلم؛ الذي قولُه حجةٌ بنفسِه، رآها مشتملةً على التنبيه على حكمةِ الحُكمِ ونظيرِه ووجهِ مشروعيتِه...»، حتى قال رحمه الله: «فينبغي للمفتي أن ينبّه السائلَ على علةِ الحُكمِ ومأخذِه إن عرَف ذلك، **وإلا؛ حرُم عليه أن يفتي بلا علم**»، [أعلام الموقعين (٤/ ١٢٣، ١٢٤)]، ونَقلُ المأثورِ في هذا المذكورِ يطول!

* وإني – تالله – أعجبُ مِن منتسِب إلى العلم يريد حملَ الناسِ على (قوله المجرّد) بلا بيان وجه موافقته للشريعة، أو بما يسمّيه هو بيانًا وهو في حقيقته لم يزد الناس إلا حيرة (!)، مهما طُلب منه أن يُبيّنه (!)، ومهما قيل له لقد اشتبه ما تقولُ أو تفعلُ بما لا يَعلم (كثير) من الناس وجه موافقته للشريعة، بل يلتبس عندهم بالمنكر المحرّم، بل (كثير) من الناس (يظنّه) مخالفًا للشرع ولا يلتبس!

ثم هو – مع ذلك – يبقى دهرَه متكلّمًا بالمشتبه من الكلام، الحمّال، الذي يَختلفُ خاصّتُه العالمون بعهدِ خطابه في مرادِه منه، فيحملُه بعضهم على ظاهره؛ فلا يكون هذا المنتسب قد استبرأ لعرضه كما هو مأمورٌ، ويتكلّف آخرون الدفاعَ عنه بلا وجهٍ يستساغ، بل بمجرّد الإحالة على حسن ظنّهم بنية المتكلّم، وما يعتقدونه من نقاء سريرته، التي لا يعلمهما إلا الله!

فكيف بغيرهم مِن غير العالمين بعهدِ خطابه وهم أكثر الناس؟!

وبذلك يقع بين الناس – بتقصير هذا المنتسِب إلى العلم – التنازعُ، والتفرّقُ، والتناوشُ، والاختلافُ، فيتسبّبُ في ضدِّ المرادِ منه الواجبِ عليه!

* **وأشد من هذا عجبًا**، مَن يتكلّم ببعض الحقّ في خاص مجالسه واضحًا، ويتكلّم بالكلام الحمّال في العلن، وهو مع كلّ ذلك: منسوبٌ إلى العلم (!)، وهو في كلّ ذلك: يحيلُ على علمٍ خفيّ يطالبُ العامةَ والخاصةَ باتباعه عليه، فهو يسلك بأتباعه شِبْهَ مسالك أئمة الفرق الباطنيّة بأتباعهم!

ثم على تقدير صحّة علمِه الخفيّ في نفس الأمر؛ فإذا «سكتَ العالمُ تقيةً وتكلمَ الجاهلُ بجهله، فمتى يظهر الحق؟»، كما قال الإمام أحمد رحمه الله.

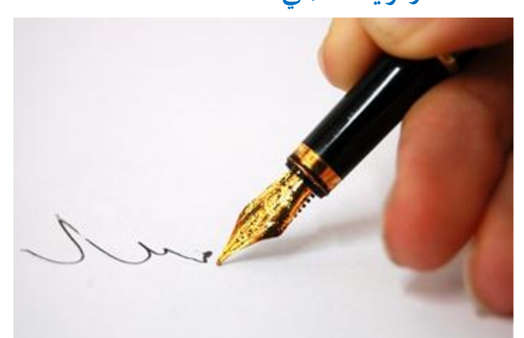
* أمّا ورثة النبي صلى الله عليه وسلم حقًّا، ومتبعوه صدقًا؛ فلا بدّ أنهم يجعلون نصبَ أعينهم قول الربّ تبارك وتعالى لمورّثهم النبيّ صلى الله عليه وسلم كما في الحديث القدسي الشريف: «إنما بعثتُك لأبتليَك وأبتليَ بك»! [صحيح مسلم (٢٨٦٥)]، قال النوويّ رحمه الله في شرحه له: «لأمتحنَك بما يَظهر منك مِن قيامِك بما أمرتُك به؛ مِن تبليغ الرسالةِ، وغيرِ ذلك مِن الجهادِ في الله حقّ جهادِه، والصبرِ في الله تعالى، وغير ذلك».

نسأل الله العظيم أن يبارك للمسلمين في العلماء منهم، وألا يحرمهم من (أئمة هدًى) يسلكون بهم سنن المصلحين، وأن يهدي ضالّ المسلمين، وأن يكشف ما بهم من غمّة، ويرفع ما بهم من كرب، وألا يجعل لكافر ولا مضلّ عليهم سلطانًا ولا سبيلًا، كما نسأله تعالى أن يقيَنا شرورَ أنفسنا وسيئات أعمالنا، وشرورَ الشياطين؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله أولا وآخرًا.

أبو حمزة خالد الأزهري، بعد أذان الفجر
من مطلع شهر جمادى الأول ١٤٣٤.

هذا ملتزم وهذا غير ملتزم!

محمد الأزهري الحنبلي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن المسلمين يتفاوتون فيما بينهم في مقدار الاستقامة والصلاح والتمسك بتعاليم دينهم باطنًا وظاهرًا، وعلى ما بينهم من التفاوت العظيم من ارتكاب الموبقات إلى أعلى مراتب الورع؛ إلا أنهم مشتركون في القاعدة الجامعة وهي التوحيد ومطلق الإيمان، وهذا يمنحهم اشتراكًا في الحرمة والحقوق، فـ"كل المسلم على المسلم حرامٌ: دمه وماله وعرضه"، فلم يفرّق صلوات والله وسلامه عليه بين الصالح والفاسق.

وقال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}.[التوبة:٧١] وهذا يعم كل من صدق عليه اسم الإيمان.

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ}. [البقرة:١٧٨]

فانظر –رعاك الله– كيف جعل القاتل أخًا للمقتول؟

وقال جل وعلا: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}. [الحجرات: ٩-١٠]

فهاهو ولاءُ الإسلام وهاهي إخوته تتسع دائرتها حتى تشمل المسلمين جميعًا ، محسنَهم ومسيئهم، بَرَّهم وفاجرَهم حتى من ارتكب أعظم الموبقات بعد الشرك بالله —وهو القتل–.

إن حقًّا على المسلم أن يوالي كلَّ مسلم مهما أسرف على نفسه، وأيًا كان مظهرُه، وأينَما كان بلدُه، وإن كان الولاء

يزيد وينقص بحسب ما عُلِّق به من وصف الإيمان كمالًا ونقصانًا. لكنَّ أصل الولاء لم تَضِقْ دائرته إلا عن المشركين والمنافقين.

فليس للمسلم إذن أن يوزّع ولاءاته حسَبَ مصالحِه وأهوائه.

وإذا كان المسلمُ ممنوعًا من أن يسع ولاؤه غير المسلمين؛ فمن الخطأ المنكر كذلك أن يحجِّمَ ولاءَه في دائرةٍ أضيقَ من دائرة الإسلام، فيجعلَه مخصوصًا بطائفةٍ أو بلدٍ أو عِرقٍ أو حزب.

إن أحدَنا ليس بأغيرَ من الله على دينه حتى يَضِيق مطلقُ ولائه عن بعض عصاة المؤمنين، فهذه غَيرةٌ لا تُحمد؛ إذ هي تحجِّرُ واسعًا وتنفِّر قريبًا، فلا تزيد هذا العاصي القريب إلا بُعدًا عن الطاعة وإسرافًا.

وهذا باب غير باب هجر أهل المعاصي؛ فإن لذاك فقهًا في التأصيل والتطبيق ليس ذا مجالَه.

وتأمل معي –حفظك الله– قول الله تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ}.[فاطر:٣٢] فهاهم المؤمنون كلُّهم مُحسنهم ومسيئهم ومسرفهم ومقتصدهم وأولهم وآخرهم قد أشركهم الله جميعًا في وصفٍ تشريفيٍ يمتازون به على غيرهم، وهو الاصطفاء، فكيف لا يكونون كلُّهم في أصل المحبة والولاء مشتركين؟!

لقد كانت مجتمعات المسلمين ولا تزالُ أمشاجًا مختلطةً، ففيها الظالمُ لنفسه، وفيها المقتصدُ، وفيها السابق بالخيرات بإذن الله، وستظلُ كذلك كما هي سنة الاختلاف.

وهذا التفاوت يعم أعمال القلوب وأعمال الجوارح كما نص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في غير موضع.

فالأَولى أن يكون هذا التفاوتُ في درجة الصلاح داعيًا إلى التناصحِ، لا إلى التنافرِ والتضاد؛ فإن هذه الأمشاجَ على تفاوتِها في الدرجات تلتقي في قاعدةٍ مشتركةٍ عريضةٍ هي خيرُ وأعظمُ ما يمكن أن يلتقيَ عليه المختلفون، ألا وهي قاعدة الإيمان والتوحيد.

ونحن معنيون أن نبحث عما يُجمِّع من الأصول، لا أنْ نُفرِّقَ بالفروع، فذلك يفقدنا خيرًا كثيرًا موجودًا بين الناس.

والقدْرُ المشترك الذي يلتقي فيه المسلمون كلُّهم في هذا المجتمع متمثِّل في

دائرةِ التوحيد وأصول الإيمان العريضة التي لا يمكن أن يندّ عنها فرد من المسلمين مهما أسرفَ على نفسه بالمعاصي؛ لأن الخروج عنها يعني الخروج من دائرة الإيمان إلى دائرةِ الكفر.

وهذا القدر المشترك هو أعظم شيءٍ جاءت به الرسل والأنبياء، والتقت عليه رسالاتهم، وهو أعظمُ الأمور التي يمكن أن نلتقي عليها.

فلماذا لا نجعل هذا القدر المشترك هو الرابطةَ التي يجتمع حولها المسلمون ظالمهم ومقتصدُهم وسابقُهم، يأتلفون عليها ويتحابون في ظِلالها، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يُذكِّرُ بهذا القدْرِ المشتركِ كلما بدتْ بين المسلمين نُفرةٌ أو ظهرت منهم على أحدٍ غِلظةٌ أو جفوةٌ.

خرج الشيخان عن عِتبان بن مالك أنه أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، قد أنكرت بصري وأنا أصلي لقومي، فإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم، فلم أستطع أن آتي مسجدهم فأصليَ لهم، ووددت . يا رسول الله . أن تأتيَني فتصلي في بيتي فأتخذه مصلى، فأتى رسول الله فقال: "أين تحب أن أصلي من بيتك؟" فأشرت إلى ناحية من البيت، فصلى ، وآب إلى البيت رجال من أهل الدار، فقال قائل منهم: أين مالك بن الدُّخْشُنِ؟ فقال بعضهم: ذلك منافقٌ لا يحب الله ورسوله، ود بعضُهم أن النبي دعا عليه فهلك، وودوا أنه أصابه شرٌّ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أليس يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟!" فقالوا: إنه يقول ذلك وما هو في قلبه، فقال: "لا يشهد أحد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فيدخلَ النار أو تطعمه".

وفي صحيح البخاري عن عمر أن رجلاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يشرب الخمر، فيؤتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيجلدُه، فأُتي به يومًا فأمر به فجُلد، فقال رجل من القوم: لعنه الله، ما أكثر ما يؤتى به! فقال: "لا تلعنوه؛ فوالله ما علمتُ إلا أنه يحب الله ورسوله".

فهذا الذي ذكّر به النبيُ صلى الله عليه وسلم من حال ذلك الرجل لم يكن شيئًا متميِّزًا يبز به أقرانه، بل فيهم – قطعًا– من هو أولى منه بهذا الوصف، وإنما ذكّر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك القدر المشترك الذي يجمعهم به في رباط

واحد ووشيجة واحدة، ألا وهو محبةُ الله ورسوله.

على أن المتأمل يلحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يَقُل هذا الكلام والرجلُ يقارف المعصية، فذلك مدعاةٌ إلى أن يحتقر تلك المعصية ويفرطَ في التوبة، ولكن قالها بعد أن كفر عن ذنبه بالحد؛ ليشعره ويشعرهم أن قلبه لا يزال طيب الغراس حسن المنبت، وفي الإمكان أن يكون خيرًا مما كان.

وهكذا الظالم لنفسه من أهل الإيمان يكون فيه من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه كما معه من ضد ذلك بقدر فجوره، فالشخص الواحد قد تجتمع فيه الحسنات المقتضية للثواب والسيئات المقتضية للعقاب حتى يمكن أن يثاب ويعاقب وهذا قول أصحاب رسول الله وأئمة الإسلام وأهل السنة والجماعة الذين يقولون إنه لا يخلد في النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

ودلائل هذا الأصل من الكتاب والسنة وإجماع الأمة كثير.

وأما الوعيدية القائلون بالتخليد كالخوارج أو المعتزلة القائلين إنه لا يخرج من النار من دخلها من أهل القبلة وإنه لا شفاعة للرسول صلى الله عليه وسلم ولا لغيره في أهل الكبائر لا قبل دخول النار ولا بعدها؛ فعندهم لا يجتمع في الشخص الواحد ثواب وعقاب وحسنات وسيئات بل من أثيب لا يعاقب ومن عوقب لم يثب.

إنَّ تحجيمَ الولاء في دائرة ضيقةٍ تحكمُها بعضُ سمات الصلاح الظاهر يُفضي إلى تشطير المجتمع إلى فئاتٍ متنافرةٍ، أو على أقل تقدير: غيرِ متعاونة، تتسع بينها الفجوةُ والجفوة، وتصبح كأنّها لا تلتقي على شيء.

فالواجب أن توضع هذه السماتُ الظاهرة حيث وضعها الشرع بلا تهويل ولا استهانة، والذي يعني أنها شعيرة من الشعائر، لا شارة كمال تُضفي على صاحبها الصلاحَ المطلق، ولا أن تُجعلَ أصلاً من أصول الإسلام يكون فرقانًا بين الولاء والبراء والمحبة والبغض. ومتى أُعطِيَتْ أكثر من ذلك تواردتْ عليها اللوازمُ الباطلة، من إطلاق الصلاح بإطلاق، أو نفيِه بإطلاق.

وينبغي أن يفطنَ إلى أن وجود بعضِ سمات الصلاح الظاهر لا يدل على كمالِ صلاحِ الباطن بالضرورة، وعدم وجودها لا

يدل بالضرورة على كمال فساد الباطن، فلماذا يجعلها بعضُنا حَكَمًا يفرض عليه طريقةَ التعامل ويصرِّف العلاقات؟! وكيف يُعوِّل على أمرٍ لا يدل إلا على نفسه؟!

وقد قال العليم الخبير تبارك وتعالى في المنافقين: {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ}. [المنافقون: ٤]

واستفاض في الصحاح والسنن وغيرها من حديث علي بن أبي طالب وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الخوارج فقال: "يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية أينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرًا عند الله لمن قتلهم لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد".

إنك قد تفتقدُ في بعض الناس بعضَ السمات الظاهرة للصلاح، لكنّك لا تفتقد فيه معالم أخرى للصلاح؛ كطيبة القلب وعِفَّة اللسان وسلامة الفكر ولين الجانب وسخاء اليد في المعروف والحرص على الصلاة والتذمُّمَ للناس وأداء حقوقِهم، فهل تلغَى هذه المعالم العظيمة للصلاح لأجل افتقاد شيءٍ من السمات الظاهرة للصلاح؟!

لابد أن يصحح مفهوم التديّن لدى الناس، حتى يدركوا أن وصفَ التدين لا تحتكرُه سماتٌ خاصةٌ بالمظهر تمنحُ هذا اللقب كلَّ من قامت به وتخلعُه عن غيره، وأن هذا الوصف الجليل لا يختص بطائفة تتميَّز بمظهرها فقط.

إن مفهوم التدين الذي ينبغي أن ننصاع إليه وتتّزن بها النظرة هو غلبةُ خيرِ الإنسان مع تحقيق أصول الإسلام وأركانِه، فإذا تحقق فيه ذلك كان أهلاً أن يضفَى عليه هذا الوصف الممدوح. والناس بعدُ متفاوتون في درجات الكمال "ولكل درجات مما عملوا".

ونحن نقصد من تصحيح مفهوم التديّن إلى أن نزيلَ النفرة التي قد تبدو من بعض الناس تُجاه آخرين، ولأجل أن نبطلَ طريقة التمييزِ الخاطئة، والتي تعوِّل على أول نظرة للظاهر دون سبرٍ للأخلاق والفكر والمشاعر.

وإلا فقل لي بربك: إذا كان من أعفى لحيته وقصر ثوبه يوسم بالالتزام والتدين–

عند طائفة– ولو كان مقصرًا فيما هو من أعظم الحقوق كحق الوالدين والأرحام والزوجة ونحوها، أفلا يكون من قام بهذه الحقوق أحق بهذه السمة من صاحبه ولو حلق لحيته وأسبل ثوبه؟!

فماذا لو أضيف إلى ذلك حسن الخلق وصدق الحديث وأداء الأمانة والوفاء بالوعد وطلاقة الوجه وسلامة الصدر ...

فلو كان هذا غيرَ مستحق لوصف التدين فالأول كذلك بل أولى.

إننا أضحينا نئن من سوء أخلاق ومعشر بعض هؤلاء الموسومين بالتدين بلا بينة ولا برهان إلا بعض سمات الظاهر.

في وقت نرى بعضًا ممن تفتقد فيه بعض هذه السمات محققًا لأصول الإسلام، حسنَ الأخلاق كريمَ السجايا.

أفيقاس النفع المتعدي بالقاصر؟!

وماذا تستفيد الزوجة مثلًا من زوج صوام قوام لكنه بخيل غليظ جاف سيء المعشر؟

وهل هو أنفع لها ممن يؤدي الفرائض ولايزيد ثم هو يكرمها ويعاشرها بالمعروف؟!

وقل مثل ذلك في الأصحاب والخلان، وفي الوظائف والتجارات...

إن اختزال وصف التدين في الظواهر –مع أهميتها– بات خطئًا كبيرًا، فكيف ببعض الظواهر؟!

بل كيف بما يدخله التأويل ويسوغ فيه الخلاف منها؟!

وليعلم أن تصحيح مفهوم التدين وتوسيع دائرته يجعلنا جميعًا مسؤولين أمام كل هجمة تُراد بها عقيدتنا ومناهجنا وتديننا بعامة.

إن الأقلام الليبرالية والعلمانية المسمومة ما فتئت تساوم على ما بقي من القيم لدى مجتمعاتنا، وقد اجترأتْ على لمز الدين والطعن في مناهج الدعوة والنيل من أعلام الأمة، فتوجهت في خطابها إلى فئة مخصوصة قصدتهم قصدًا؛ لتجعل منهم مطيةً إلى تلك الغايات الدنيئة، وأطلقت عليهم وصفَ (الإسلاميين)، لتجعل باقي المجتمع في وضع الحياد معها، وكأننا في مجتمع ملحد مرجعيته لغير الإسلام.

مع أن القضية في المرجعية غير القضية في العمل لأنها في المرجعية قضية إيمان وكفر ولا ثالث لهما {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}. [النساء:٥٩] {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا}. [النساء:٦٠-٦١] {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}.[النساء:٦٥]

أما في العمل فثَم العاصي والمسرف على نفسه، وثَم التقي الورع.

وهؤلاء الخبثاء من أعداء الإسلام يريدون من خلال هذه التسميات ومن خلال توجُّهِ نقدهم ولمزهم إلى فئة مخصوصة يريدون أن يجعلوا باقي فئات المجتمع بمعزل عن المواجهة والمسؤولية في دفع هذه الحملة المغرِضة.

وهم خاطئون عن عمد وخبث بهذا الإطلاق، ويخطئ معهم من يفهم أن الإسلاميين فئةٌ لها سمات معينة هي المعنية بهذه الهجمة، ويظل غيرُهم في مأمن من الفتنة.

إن هذا القدر المشترك بيننا من أصول التوحيد وأركان الإيمان يحمِّلنا جميعًا مسؤولية الدفاعِ عن هذا الدين والذبِّ عن منهج المصطفى ﷺ.

فكل مسلم تَحاكُمُه إلى الله ورسوله ومرجعيتُه الكتاب والسنة فهو إسلامي وليس ثم مسلم إلا كذلك ومن سواه فليس من المسلمين.

ثم إذا كان ظاهر الإنسان لا يدل على باطنه ولا على فكره ولا أخلاقه بإطلاق، فمن باب أولى أن لا يدلَّ على باطن غيره وفكره وأخلاقه، فلا تزر وازرة وزر أخرى، ولا يؤخذ أحد بجريرة غيره، إنما من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها.

وقد نرى شخصًا واقعًا في فاحشة أو مرتكبًا لكبيرة موبقة، وقد تفتقد فيه بعض سمات الصلاح الظاهر، فهل يعني هذا لزامًا أن يكون كل من شاكله في الظاهر مشاكلاً له في السلوك والفكر والباطن؟! كلا، ولا أظن عاقلاً يرى غير هذا. فإذا كان هذا فكذلك الأمر بالعكس، إذا رأينا شخصًا قد وقع في موبقة أو غلو وعليه شيء من سمات الصلاح الظاهر، فهذا لا يعني أن كل من شاكله في هذا الظاهر مشاكِلٌ له في الفكر والسلوك والباطن.

وعلى هذا لا يجوز أن تُجعل بعضُ السمات ميسمًا يُعرف به الإرهاب والغلو، لا سيما إذا كانت سنةً ثابتةً عن المصطفى .

وأخيرًا، فكل شعيرة من شعائر الإسلام صغيرةً كانت أو كبيرةً هي جزء من هذا الدين من أتى بها فهو أكمل من غيره في هذه الجزئية بعينها ولا يلزم من ذلك التفضيل المطلق.

ثم لا يجوز لأحد التحقير من شأن شعيرة ولا الاستهزاء بها، ولا الاستهانة بقدرها، ولا السخرية من أصحابها، فإن الاستهزاء بشعيرة من شعائر الإسلام كفر مخرج من الملة، {قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ}.

وأما الاستهزاء بمن قامت فيه تلك الشعيرة فهو سخرية بإنسان محفوظ الكرامة والعرض في الإسلام، وقد قال جل ذكره: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ}.

[الحجرات:١١]

وقال صلوات الله وسلامه عليه: "بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم".

وبعد:

فهذا المقال يهدف إلى تصحيح المفاهيم، ومراجعة بعض التوجهات والأفكار غير المنضبطة، ليتحقق التعاون على البر والتقوى، ويسود بين عباد الله التكامل ويتآكل التآكل.

والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

هل حدثت نفسك بالغزو؟

شادي عاطف



في الآية الكريمة: {رجالٌ صَدَقوا}، وهم على صنفين: {مَن قَضَى نَحْبَه}، و{من ينتظر}؛ فالصادقون إما شهداء أو ينتظرون الشهادة! فمن أي الفريقين أنت؟ هل حدثت نفسك بالغزو أم ليس بعد؟

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من مات ولم يغزُ ولم يُحدِّث به نفسه مات على شعبةٍ من نفاق". [رواه مسلم]

ففي الحديث: أن من نوى فعل عبادة فمات قبل فعلها لا يتوجه عليه من الذم ما يتوجه على من مات ولم ينوها.

فهل حدثت نفسك بالغزو يومًا؟

إن لم تكن فعلت؛ فاحذر أن تكون على شعبة من النفاق، واحذر قول الملك جل جلاله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التوبة: ٣٨، ٣٩]

أما إن كنت قد حدثت نفسك بالغزو يوما، فاصدق الله في نيتك يُعِنك؛ فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة حق على الله عَونُهم، المجاهد في سبيل الله، والمكاتِب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف". [رواه الترمذي]

وأبشر! فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهادًا في سبيلي وإيمانًا بي وتصديقًا برسلي فهو عليّ ضامن أن أدخله الجنة، أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلًا ما نال من أجر أو غنيمة، والذي نفس محمد بيده ما من كُلم (جُرح) يُكلَم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كُلِم لونه لون دم وريحه مسك، والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدًا، ولكن لا أجد سَعة فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني، والذي نفس محمد بيده لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل". [رواه البخاري، ومسلم]

واعلم أن لهذا الأمر استعدادت ينبغي أن تُتخذ قبل الإقدام عليه.



أولًا: إصلاح النية:

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إنما الأعمال بالنيّات، وإنما لكل امرئ ما نوى؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه".

[رواه البخاري ومسلم]

فالإخلاص ركن ركين من أركان القبول، والرياء في عبادة الجهاد من أخطر أنواع الرياء وأشدها.

- ولتحصيل الإخلاص وسائل، منها:

١/ أن تعلم أن الناس لا يملكون لك ضرًّا ولا نفعًا، وأن تستحضر عاقبة الرياء ومغبته يوم القيامة؛ فقد ثبت في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجلٌ استشهد فأُتِيَ به فعرَّفه نعمَه فعرفها، قال فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استُشهدت، قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال هو جريء فقد قيل! ثم أمر به فسُحبَ على وجهه حتى ألقي في النار ..." الحديث. [رواه مسلم]

قال الإمام النووي في شرحه على الحديث: "قوله صلى الله عليه وسلم في الغازي والعالم والجواد وعقابهم على فعلهم ذلك لغير الله وإدخالهم النار دليلٌ على تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته، وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال؛ كما قال الله تعالى {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين}، وفيه أن العمومات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد الله تعالى بذلك".

٢/ كذلك من الوسائل المعينة على تحصيل الإخلاص: معرفة ثوابه وثواب الطاعة التي أنت مقدم عليها؛ قال تعالى في سورة التوبة: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: ١١١]

ففي هذه الآية يخبر تعالى أنه عاوض عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم -إذ بذلوها في سبيله- بالجنة، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه، فإنه قَبِل العوض عما يملكه بما تفضل به على عباده المطيعين له؛ ولهذا قال الحسن البصري وقتادة: "بايعهم والله فأغلى ثمنهم".

ويقول عبد الله بن المبارك رحمه الله:

"بُغضُ الحياةِ وخُوفُ اللهِ أخرَجَني
وبيعُ نفسي بما ليستْ له ثمنا
إني وزنتُ الذي يبقى لِيعْدِلَه
ما ليس يبقى؛ فلا واللهِ ما اتزنا"

وقد قال صلى الله عليه وسلم: "إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض؛ فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة". [رواه البخاري ومسلم]

وأنصح بقراءة كتاب فضائل الجهاد من (تحفة الأحوذي) شرح سنن الترمذي للمباركفوري.

٣/ ويعين على الإخلاص: الدعاء، أن تسأل الله أن يرزقك الإخلاص وتستعيذ به جل جلاله من الشيطان الرجيم، ومن منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء؛ كالرياء والسمعة والإعجاب؛ فمن استعاذ بالله من ذلك أعاذه الله، وما ذلك على الله بعزيز.

يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله في الفوائد: "وقد أجمع العارفون على أن كل خير فأصله بتوفيق الله للعبد، وكل شر فأصله خذلانه للعبد، وأجمعوا أن التوفيق أن لا يكلك (أي يتركك) الله إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يخلي بينك وبين نفسك؛ فإذا كان كل خير فأصله التوفيق، وهو بيد الله لا بيد العبد؛ فمفتاحه الدعاء والافتقار إليه وصدق اللجوء والرغبة والرهبة إليه؛ فمتى أعطي العبد هذا المفتاح فقد أراد أن يفتح له، ومتى أضله عن المفتاح بقي باب الخير مرتجًا (أي مغلقًا) دونه، قال أمير المومنين عمر بن الخطاب: إني لا أحمل هم الإجابه ولكن هم الدعاء فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه.

وعلى قدر نية العبد وهمته ومراده ورغبته في ذلك يكون توفيقه سبحانه وإعانته؛ فالمعونة من الله تتنزل على العباد على قدر هممهم وثباتهم ورغبتهم ورهبتهم، والخذلان ينزل عليهم على حسب ذلك؛ فالله سبحانه أحكم الحاكمين وأعلم العالمين يضع التوفيق في موضعه اللائق به والخذلان في موضعه اللائق به، وهو العليم الحكيم. وما أُوتي من أوتي إلا من قبل إضاعة الشكر، وإهمال الافتقار والدعاء، ولا ظفر من ظفر بمشيئة الله وعونه إلا بقيامه الشكر وصدق الافتقار والدعاء، وملاك ذلك الصبر فإنه من الايمان بمنزلة

الرأس من الجسد؛ فإذا قُطع الرأس فلا بقاء للجسد". انتهى كلامه رحمه الله.

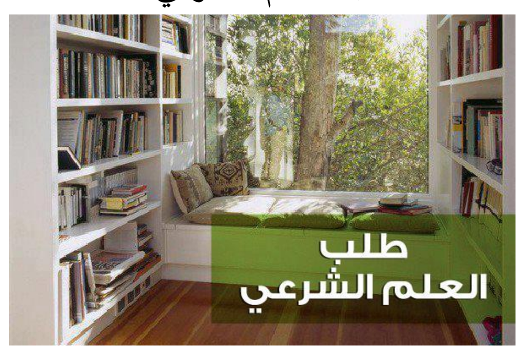
فالدعاء والافتقار إذن هما مفتاح التوفيق لكل خير، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "مَن سأل اللهَ الشهادةَ بصدقٍ بلَّغَه اللهُ منازل الشهداء وإن مات على فراشه". [رواه مسلم]

٤/ كذلك يعينك على تحصيل الإخلاص: استحضارك لأجلك، وتذكرك لهادم اللذات: الموت؛ فإن مآل المرء في الجهاد إما إلى السلامة أو الإصابة أو الموت؛ فإن هو مات على نية غير صالحة خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين؛ وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياءً، أيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قاتل لتكون كلمةُ اللهِ هي العليا فهو في سبيل الله". [رواه البخاري ومسلم]

ثانيًا: إصلاح حالك مع الله:

فالجهاد ذروة سنام الإسلام، وشعبة عظيمة من شعب الإيمان، والسعيد من وفقه الله لإقامة تلك الشعيرة العظيمة من شعائر دين الله عز وجل؛ لذا ينبغي على من رام التوفيق أن يجتهد في الدعاء والطاعة والتوبة من ذنوبه، وإصلاح نيته، واستحلال أصحاب الحقوق عليه، عسى أن يوفقه الله إلى نية صالحة يتقبله بها عنده ويعينه بها على الجهاد في سبيله.

ثالثًا: طلب العلم الشرعي:



فميادين الجهاد تعج بالرجال، ولكنها تفتقر إلى طلبة العلم والعلماء بشدة؛ فعليك بتعلم فقه الجهاد قبل الخروج إليه، والفرق بين جهاد الدفع وجهاد الطلب، وأحكام كل منهما، والفرق بين أحكام جهاد فرض الكفاية وجهاد فرض العين، وكذلك تعلم كل ما يمكن أن تحتاج إليه في رحلتك من آداب السفر وفقه والصحبة وأخلاق العمل الجماعي وفقه العبادات والمعاملات، وغير ذلك مما ينفعك في نفسك ويتعدى نفعه إن شاء الله إلى غيرك.

وليس معنى كلامي أن تمتنع عن الخروج حتى تستكمل الأصول والفروع وعلوم فرض الكفاية وتصير عالمًا؛ بل مفهوم كلامي أن تجتهد في الطلب وتستوفي ما ينقصك قبل عزمك على أداء تلك الفريضة بفترة مناسبة، حتى تكون مؤهلًا ومستعدًا لما ستواجهه من متاعب

ومصاعب تحتاج فيها إلى العلم والفهم الصحيحين أكثر من أي شيء آخر.

رابعًا: الإعداد البدني والقتالي، {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة}:



للأسف البعض يخرج للجهاد قبل أن يتأهل بدنيًّا؛ فقد اعتاد معظمنا حياة الدعة والرخاء والخمول، ولم نعتد خوض المفاوز أو حمل الأثقال لمسافات طويلة أو صعود التلال أو مكابدة الحر والبرد الشديدين.

وقد حكى لي بعضهم أن أمثال هؤلاء ممن لم يتلقوا الإعداد البدني المناسب كانوا يذهبون إلى الشيشان فيفت البرد في عضدهم ويتعبهم صعود الجبال وطول السكك؛ فتخور قواهم سريعًا ويشكلون عبئًا وعائقًا مزعجًا لإخوانهم المجاهدين، حتى إنهم كانوا يضطرون أحيانًا لحملهم على أكتافهم ليصعدوا بهم التلال؛ فهل ستُخاطر بحياتك من أجل أن تُحمَل كالأطفال؟!

ملحوظة: ورغم ذلك فلا وجه للمقارنة بين أحوال القاعدين منا والمثبطين وبين هؤلاء الأفاضل؛ فكفاهم فضلًا أن خرجوا بأموالهم وأنفسهم.

اهتم بصحتك، ونظم طعامك وشرابك، وحافظ على وزنك مثاليًّا، وليكن لك نصيب يومي من تمارين تنشيط القلب وإطالة النفس؛ كالمشي أو الجري أو ركوب الدراجات أو السباحة، وتمارين تقوية العضلات؛ كحمل الأثقال، والتمارين المنزلية؛ كتمرينات البطن والصدر والذراعين والساقين، وحبذا لو التحقت بإحدى الفرق لتدريب الرياضات القتالية.

واجعل لك نصيبًا من مطالعة سير المجاهدين من السلف والخلف، واقرأ عن فنون الحرب وأساليبها، وتدرَّب على فنون الرماية واتقنها ما استطعت؛ فإن لم تفعل فقل لي بربك: كيف ستحتمل العدْو والكر والفر والضرب والرمي والجرح ومواطن الإصابة ومشاهد القتل؟

خامسًا: رصد ميادين الجهاد:



قم بعمل دراسة تحليلية لمواطن القتال وارصد فيها:

١/ الأماكن التي يحارَب فيها المسلمون بشكل عام، سوريا/ فلسطين/ الشيشان/ تركستان/ أفغانستان/ مالي / العراق ... إلخ

٢/ أقرب البقاع إليك؛ فهم أولى بك من سواهم.

٣/ عقيدة المقاتلين في تلك البقعة وأهدافهم؛ لئلا تفاجأ بنفسك تقاتل مع الشيعة في لبنان ضد السنة مثلًا.

٤/ نوع الاحتياج لدى المجاهدين في هذا المكان: رجال/ مال/ سلاح/ طعام/ دواء/ أطباء/علماء ... إلخ.

٥/ قدر احتياجهم، وهل حاجتهم ملحة أو غير ملحة، وقارن البلاد ببعضها.

٦/ تعرَّف على لغة أهل كل بلد ولغة مقاتليها لتعرف مدى قدرتك على التعامل معهم.

٧/ قدر احتمالك لظروف كل بلد؛ فهناك بلاد شديدة البرودة وأخرى جبلية أو فقيرة أو تمارس فيها مجازر جماعية.

٨/ تعرف على سبل الوصول الآمنة المتاحة لكل ساحة من ساحات القتال ومدى ملاءمتها لظروفك.

بعد دراستك لهذه النقاط (ولا تسألني عن كيفية جمعها)، راجع ما لديك من معلومات وتفقد حالك، ثم انتقل إلى الخطوة التالية وهي خطوة مهمة بلا شك.

سادسًا: استفتِ أهل العلم:



أنصحك بسؤال أهل العلم والفضل من أهل السنة الثقات في البلد التي أنت مقيم بها؛ فإن لديهم من العلم والرشاد والبصيرة ما ستحتاج إليه حتمًا قبل إقدامك على مثل تلك الخطوة، ولكل شخص ما يناسب حاله، وقد رد النبي صلى الله عليه وسلم رجلًا جاء يستأذنه في الجهاد فقال: "أحيٌّ والداك"؟ قال: نعم. قال: "ففيهما فجاهد". [رواه البخاري ومسلم]

فقد ينطبق عليك مثل هذا الحكم قياسًا، وقد لا ينطبق لمخالفة حالك لأحكام المسألة الشبيهة؛ فلا تفوت استشارة أهل العلم وسؤالهم على أي حال؛ فإن ذلك أقرب لسلامة دينك وتمام عملك.

افتراض:

لو فرضنا إنك ممن يسقط عنهم الجهاد لأي سبب كان، فهذين الحديثين هدية لك:

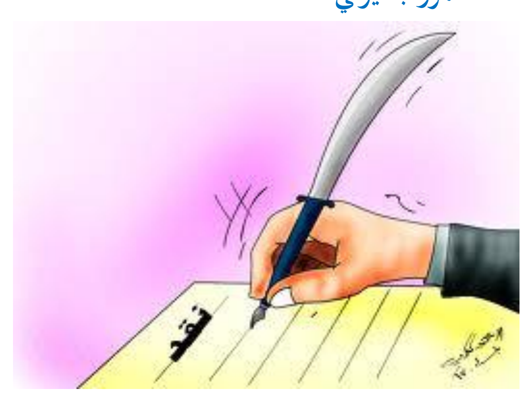
الأول: قال صلى الله عليه وسلم:"من أعان مجاهدًا في سبيل الله أو غارمًا في غرمه أو مكاتبًا في رقبته أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله". [أخرجه أحمد]

والثاني: قال صلى الله عليه وسلم: "من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه". [رواه مسلم].

يسر الله لي ولك ورزقنا الجهاد والشهادة في سبيله مخلصين له الدين، ونفع بنا، وجمعنا في الدنيا على طاعته وفي الآخرة في جنته، وأسأل الله أن يبلغني وإياك منازل الشهداء وأن يدخلنا الجنة بغير حساب ولا سابقة عذاب، آمين، والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

نظرات في ضرورة النقد

عمرو بسيوني



لا شك أن الاشتقاق الأول لكلمة النقد من العملية التي كان يقوم بها الصيارفة لتمييز الزيوف من الصحاح من النقود ؛ لا شك أن هذا الاشتقاق الذي اقتبسته سائر المجالات بعد ذلك يوحي بالحاجة الملحة إلى تلك العملية المسماة النقد ، كما هي الحاجة لتمييز النقود الصحيحة من الفاسدة .

تكمن ضرورة النقد في الحقيقة المتمثلة في أن الإنسان يبقى عرضة للخطأ لأسباب كثيرة ، تتعلق بنقصه الشخصي ، وضعف بعض ملكاته ، أو تسلط الأهواء والرغبات والمؤثرات عليه .

والحق إن الإنسان مثال للنقص والعجز ، والكمال فيه قليل ، سواء كان هذا النقص علميا أم عمليا ، فالجاحد لضرورة النقد زاعم في نفسه العصمة ، مؤله لها ، يريد لغيره أن ينصاع له دون نظر ولا عقل .

ضرورة النقد تتصل بالإنسان والجماعة، فالإنسان المنقود تصبح لديه الفرصة للنظر في ذلك النقد الموجه إليه ، واستلهام ما ينفعه منه ، فيقدر أن يعدل من مساره ، وإذا ما كان هذا الشخص مؤثرا في الجماعة ، كالقادة والعلماء ، فإن أثر هذا الإجراء يعود بالنفع على سائر الجماعة .

ولذلك نجد أن الإسلام قد ألح على مفاهيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصدع بالحق ، والنصح ، الذي جاء في السنة أنه مما كان يبايع النبي صلى الله عليه وسلم بعض من كان يأتيه مؤمنا ، بل ورد في السنة أن الدين النصيحة ، تعظيما لشأنها وخطرها ، وعظم من شأن التوبة — وهي في أثرها الفعلي رجوع عن الخطأ – ، ونوه عمر بالرجوع إلى الحق وأنه خير من التمادي في الباطل ، ولو كان ذلك في الحكم والقضاء ، حيث إن قولته المشهورة تلك وردت في كتابه للقضاء الذي أرسله إلى أبي موسى الأشعري .

والتاريخ الإسلامي حافل بتلك الممارسة ، منذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، فالخلفاء الراشدين ، فمن بعدهم من السلف الصالحين ، فقد انتقد الحباب ابن المنذر بن الجموح المنزل الذي نزله المسلمون يوم بدر ، ونجد في قوله : يا رسول الله ، أرأيت هذا المنزل ، أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ، ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال: "بل هو الرأي والحرب والمكيدة". فقال : يا رسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل؛ ونجد في هذا الحوار تمييزا واضحا بين دائرتي الوحي ، والرأي البشري الخاضع للعلم والنظر والتجربة .

ونجد نماذج كثيرة لتلك الممارسة النقدية في عصر الخلافة الراشدة ، فقد انتقد عليٌّ خروج أبي بكر بنفسه لمقاتلة المرتدين ، واستجاب أبو بكر لذلك النقد لوجاهته ، وعدل عن هذا القرار ، وانتقد بعض الصحابة رأي عمر في عدم تقسيم أرض سواد العراق على الفاتحين ، ولم يستجب عمر لذلك النقد لوجاهة رأيه وصحته !

وإذا نظرنا في عصر التابعين فمن بعدهم إلى عصر الأئمة الأربعة والطبقات الأولى من تلاميذهم نجد فعالية تلك الممارسة النقدية في الذروة ، والناظر في كتاب الأم للشافعي يجد النمط المسيطر على الكتاب في الدرس الفقهي هو نمط المناقشة ، إما بين الشافعي وبين مخالف معلوم ، أو مفترض ، يوجه الشافعي لأطروحته انتقادات ، تصل إلى حد الانتقاد اللاذع في كثير من الأحيان .

بل إن الشافعي كتب استقلالا في انتقاد مالك رحمه الله ، فكتب (خلاف مالك) ، وكتب في الرد على الحنفية كتبا ، وكتب في الرد على أبي يوسف ، والأوزاعي.

وكتب محمد بن الحسن في الرد على فقه أهل المدينة كتابه العظيم (الحجة على أهل المدينة) .

وكتب كثير من العلماء (أحمد ، عثمان الدارمي ، ابن خزيمة / نماذج) في الرد على البدع ، فكتبوا في الرد على القدرية ، والجهمية ، والرافضة ، والمرجئة .

ثم خمدت العملية النقدية لنحو ثلاثة قرون ، سوى مطارحات فقهية محدودة ، كان الغالب عليها التقليد ، ثم أشرق نور الممارسة النقدية بجلاء في شيخ الإسلام

ابن تيمية في القرنين السابع والثامن الهجريين .

لقد أعاد شيخ الإسلام ابن تيمية للممارسة النقدية اعتبارها ، من خلال تآليفه المستقلة فيها ، وغيرها من المناقشات في تضاعيف مؤلفاته الأخرى ، فابن تيمية بما حازه من علم واسع بالشريعة والعلوم العقلية تمكن من ممارسة النقد مع اتجاهات متباينة من المنقودين ، فمارس النقد الفقهي الداخلي في إطار الفقه السني ، ومارس النقد العقدي مع الفرق الإسلامية كالأشاعرة والرافضة والصوفية وغيرها ، ومارس نقدا عقديا خارج الإطار الإسلامي فكتب في الرد على النصارى والفلاسفة والدهريين ، وصاغ تلك النقود كلها صياغة علمية محكمة ، فلم يقع في كلامه نقد خال من العلم والعدل .

وبعد شيخ الإسلام ابن تيمية وطبقة تلاميذه ، تخبو جذوة النقد تارة أخرى ، ثم تظهر مرة أخرى بعد نحو خمس قرون في عصر التجديد الإسلامي ، مصاحبا للإمام محمد بن عبد الوهاب ، ومدرسته ، التي وجهت نقودا كثيرا لجوانب علمية وعملية كانت سائدة في عصره ، وصاحبها — وسبقها قليلا — محاولات تصحيحية نقدية في اليمن ، عن طريق ابن الوزير ، والمقبلي ، والشوكاني ، والأمير الصنعاني ، بما وجهوه من نقود للمدرسة الزيدية فقهيا وعقديا .

إن الشاهد من هذا الاستعراض الخاطف بيان أن الحركة النقدية لم تتوقف في العصر الإسلامي الأول ، ولم تتخلف في العصور اللاحقة على عصر الأئمة الأربعة إلا تلازم معها تخلف المسلمين نفسه ، فإن شيوع الجهل ، والتقليد ، والعصبية هي آثار حتمية لغياب العملية النقدية ، المنضبطة بالعلم الصحيح ، والورع التام .

إن الوقت الحالي — ما بعد ما اصطلح عليه (الربيع العربي) — لهو أحوج الأوقات إلى العودة لممارسة النقد ، ممارسة فعالة ، منضبطة ، فإن التحديات العلمية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية العظيمة التي تواجهها الأمة الإسلامية في ذلك الوقت عصية على المواجهة دون تلك الحركة النقدية .

فهل يعقل قادة الأمة السياسيون والعلميون تلك الضرورة ؟ ، وهل يستفيدون منها ؟

تلك أسئلة أخرى ..

من أجل نخبة نسائية مثقفة

أحمد سالم



الحمد لله وحده.

تعاني التيارات الإسلامية من فقر كبير على مستوى النخب النسائية الثقافية.

ولا يعني هذا أنها استطاعت إنتاج نخب نسائية سياسية أو تنظيمية بل هي تعاني نفس العجز فيهما، وغاية ما نجح فيه الإخوان المسلمون –ولحقتهم سلفية الإسكندرية– نوعًا ما فيه هو إدخال النساء للمعترك الحركي على الأرض في العمليات الانتخابية وشيء من العمل الخيري.

ولا يعني هذا أن التيارات العلمانية أسعد حظًّا؛ فلا شك أن لها نصيبًا لا بأس به من هذا الفقر إلا إن الأوساط الأكاديمية والإعلامية مع الدعم السلطوي الداخلي والغربي ساهما في إنتاج نماذج تغطي جانبًا من العجز ظاهريًّا على الأقل، ويظهر هذا جليًّا في الحركة النسوية العلمانية.

إذا اتضح هذا أحب أن أعرض فكرتي في النقاط التالية:

(١) المراد بالنخب الثقافية النسائية هو وجود طبقة من النساء لها إلمام معرفي شرعي وإلمام معرفي ثقافي وفكري يعينها على مواجهة التحديات التي يواجهها العالم العربي والإسلامي فيما يتعلق بملف المرأة أولًا، ثم فيما يتعلق بباقي جوانب معركة المفاهيم بين المنظومة الغربية والمنظومة الإسلامية.

(٢) حملة الشهادات الأكاديمية (الماجستير والدكتوراه) من النساء الإسلاميات قليل جدًّا باستثناء دول الخليج، وهذا القليل مع الكثير في دول الخليج لم يستطع الإسلاميون تجويد توظيفه إلا في نماذج محدودة، أخص منها بالذكر والشكر مركز باحثات في المملكة العربية السعودية.

(٣) التيارات الإسلامية بحاجة لبحث هذه القضية بحثًا عميقًا مركزًا؛ فإن بقاء المرأة في وضعها الحالي يعني فقدان التيار الإسلامي لطاقة عظيمة جدًّا، وفي نفس الوقت يعني وجود أرض قاحلة فراغ يمكن أن تتمدد فيها النسوية العلمانية، أو حتى النسوية الإسلامية التنويرية المنسحقة أمام بعض المفاهيم الغربية.

(٤) من الواضح هنا أني لا أتكلم عن تثقيف المرأة؛ بل أتكلم عن أمر أدق

وأعمق من هذا وهو تكوين نخب ثقافية نسائية موازية لطبقات العلماء والمفكرين والباحثين الموجودة في الجانب الذكوري من التيار الإسلامي، مع محاولة تفادي العيوب الشائعة في الجانب الذكوري والتي ينبغي أن يحاول هو نفسه التخلص منها.

هناك ستة عناصر تشكل معالم الإجابة عن سؤال أهمية العناية بتكوين نخب ثقافية نسائية وهي:

(١) سهولة حركة المرأة في الأوساط النسائية.

(٢) حالة القرب النفسي التي لا زالت المرأة العربية والمسلمة تشعر بها حين يكون الكلام مع امرأة مثلها.

(٣) المصداقية الأكبر لكلامها حين تتناول قضايا المرأة.

(٤) أثر القدوة والغيرة أحيانًا في توسيع دائرة المثقفات المسلمات إذا وجدت نخب مثقفة نسائية.

(٥) العجز الواضح للنسوية المستغربة حين تصطدم بالنخب الثقافية النسائية بالذات، وهو أمر معلوم لمن تابع تاريخ الحركة النسوية وحاضرها.

(٦) الأثر الأسري والمجتمعي الكبير للمرأة.

من أجل هذه الأهداف المهمة أتقدم بمقترحات ثلاثة أساسية:

أولًا: البداية بالموجود من النخب الأكاديمية النسائية وصاحبات الأقلام المتميزة في الشبكة العنكبوتية، ومحاولة استنهاض هممهم من أجل هذا الهدف ورسم معالم خطة ثقافية تعوض نقص الشرعيات الثقافي، ونقص المثقفات الشرعي، مع تنمية الجوانب الشرعية والثقافية لدى صاحباتها بصورة أحسن من الموجود.

ثانيًا: إقامة محاضن علمية سواء معاهد أو دورات أو حقائب تدريبية أو محاضرات موجهة للناشئات من الفتيات؛ من أجل تنمية هذا الجانب فيهن ومحاولة الالتقاط المبكر للموهوبات.

ثالثًا: محاولة عقد رابطة بحثية بين الباحثات المؤهلات والواعدات في هذا المجال واحتضان مجهوداتهن البحثية.

تبقى الإشارة لثلاثة عوائق:

الأول: العائق الاقتصادي خاصة في غير دول الخليج، وهو الذي يهدد هذه الفكرة في البلدان الإسلامية الأخرى.

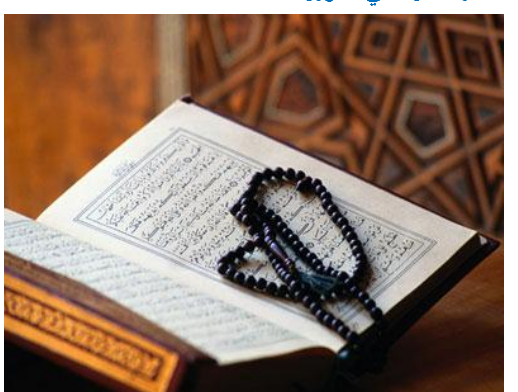
الثاني: عائق المسؤوليات الأسرية أمام المرأة.

الثالث: عائق المفاهيم المغلوطة عند بعض الإسلاميين والذي يمنعهم من تفهم هذا الدور العظيم الذي يمكن أن يناط بالمرأة.

وبعد: فهذه فكرة أولية تنتظر أن يحوطها المهتمون برعايتهم وأفكارهم، والحمد لله رب العالمين..

تأملات في سورة هود

د. ولاء رفاعي سرور



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

إن المتفكر فى موقف سيدنا هود عليه السلام وقوته وجرأته فى مواجهة قومه واستعلائه عليهم حين يقول لهم: {قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ . مِنْ دُونِهِ . فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُون}. [هود: ٥٤-٥٥]

وقد وقف أمامهم وحيدًا مستضعفًا وهم من عُرفوا بقوتهم وجبروتهم؛ {فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً . أولَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُون}. [فصلت:١٥] .. {وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً}. [الأعراف:٦٩] .. {وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِين}. [الشعراء:١٣٠]

إذن من أين أتى هود عليه السلام بهذه القوة وذلك الاستعلاء في مواجهته لهم؟! ولم تلك الجرأة في الرد دون خوف من بطش أو عقاب؟!

وتأتي الآية التي تليها لترد على ذلك التساؤل: {إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ . مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}. [هود: ٥٦]

إنه يحمل شيئًا في قلبه ؛ يرى معه كل متكبر حقيرًا ، وكل متغطرس ذليلًا ، إنه يحمل عقيدة منشؤها من عند سدرة المنتهى فناسب استعلاؤه بها ذلك المنشأ وعلا بعلوها ؛ وهي من تحت عرش الرحمن.

وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه ومجاهد بن جبر وغيرهما بسند صحيح بمجموع طرقه وصحح إسناده ابن حجر في الفتح أن النبي صلى الله عليه وسلم وصف الكرسي بقوله: "ما السموات والأرض في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في الأرض الفلاة..." الحديث.

وما أجمل استشهاد ابن القيم في صواعقه المرسلة حيث قال: "وقد أخبر النبي أن السموات السبع في الكرسي كحلقة ملقاة بأرض فلاة، والكرسي في العرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة، والعرش لا يقدر قدره إلا الله، وهو

سبحانه فوق عرشه يرى ما عباده عليه؛ فهذا هو الذي قام بقلوب المؤمنين المصدقين العارفين به سبحانه". ا.هـ

فأي غبي حقير يقف أمام تلك العقيدة ؟! ثم إن الله اختار لحمل هذه العقيدة أقوى ملائكته (جبريل عليه السلام)، وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه وصف جبريل بقوله: "رأى جبريل وله ستمائة جناح" ، وفى رواية عند الترمذي: "له ستمائة جناح قد سد الأفق".. فناسبت قوة نبينا هود عليه السلام فى مواجهته لقومه بعقيدته قوة حاملها فاستقر فى قلبه أن هؤلاء الأذلاء لا يقدرون على شيء إلا ما قدره الله، ولذلك استأنف رده عليهم بأنه {ما مِنْ دابَّةٍ إلا هو آخِذٌ بِناصِيَتِها}؛ فليزيدوا من تهديدهم ووعيدهم فما من دابة إلا والله آخذ بناصيتها، وليتمادوا فى أساليب الضغط والقهر ؛ فما من دابة إلا والله آخذ بناصيتها، ولتعلُ أصوات التشويه والتشنيع {إنْ نقولُ إلا اعْتَرَاكَ بعضُ آلهتِنا بِسوءٍ} فما من دابة إلا والله آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم.

إشعار بالثبات والاستقامة على هذه العقيدة الراسخة فهي ممتدة إلى آخر الزمان ، وتمسكه بها لا يتغير بتغير الأحوال والظروف ؛ فلن يتعلل بظروف سياسية تجعله يهادن فى عقيدته ! ولن تطره ظروف اجتماعية لأن يقول هذا ليس وقتها ! فالاستقامة والثبات ما دامت هذه العقيدة إلى نهاية الزمان.

وعلى العكس من فكرة الترهيب التى استخدمها قوم هود عليه السلام مع نبيهم كانت فكرة الترغيب في تعامل قوم صالح عليه السلام مع نبيهم حين واجههم بعقيدته {قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا}. [هود: ٦٢] محاولة الاستمالة بأن له مكانة بين قومه، وبأنه صاحب رأي وكلمة بينهم ، وإشباع لغروره! حسب ظنهم –حاشاه ذلك– بأنه قائد عظيم ؛ فينشرح صدره بذلك المكسب ، ويتغاضى عما يحمله فى قلبه من عقيدة.

ذلك الأسلوب الذى طالما استخدمه أعداء الحركة الإسلامية للنيل من قادتها ، وقد وقع في شراك ذلك الأسلوب بعض كبار قيادات الجماعات الاسلامية فى سجون مصر فى السنوات الأخيرة ! فهذا

هو مسئول الزيارات فى السجون ، وذلك المتحدث الرسمي باسم الجماعة الفلانية ، والآخر مطلوب للتفاوض معه ! إلى آخر تلك الأساليب التي تشبع روح القيادة عند الفرد !

وهذا الأسلوب المدغدغ للمشاعر متوقع أيضًا في الفترة القادمة في مفاوضات رأس الكفر أمريكا وتعاملها مع قيادات التيارات الإسلامية ؛ خاصة بعد اكتساح تلك التيارات للساحة السياسية فلم يعد هناك مجال لاستخدام أسلوب الترهيب !

إلا أن سيدنا صالحًا عليه السلام فهم أنه إن استجاب ومال لرغبات النفس وانقاد وراء ذلك الجذب الحسي فقد انقطعت صلته بمنشأ العقيدة ، وانقطعت صلته بالسماء ، وبقي رهن ذاته يشبع رغبته بالمدح والثناء فيخسر عقيدته، ويخسر نفسه معًا! يخسر عقيدته لتنازله عنها ، ويخسر نفسه لأنه لا يلبث بعد قليل أن يجد نفسه كورقة استنفذ الغرض منها بعد أن ادّت دورها فى خيانة الدعوة! بالطبع حاشاه ذلك ، ومن ثم فلن يستمر المدح طويلًا! ولن ينشرح صدره بالثناء طويلًا فيرجع إلى نفسه مذمومًا مخذولاً!

ولذلك كان جوابه عليه السلام لهم {فَما تَزيدونَني غيرُ تَخْسيرٍ} ؛ وهكذا فإن العبد وإن كان نبيًّا أو نبياً مرسلاً فإنه محتاج إلى حماية ربه من مهده وتكليفه الشرعي إلى لحده ؛ فصاحب الدعوة لا يكل نفسه إلى نفسه وإلا سلط الله عليه النفس ورغباتها التي لا تنتهي ! ولذلك كان من دعاء نبينا صلى الله عليه وسلم : "يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين".

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفقه والإيمان

عبد الله زكريا



الحمد لله رب العالمين القائل في محكم كتابه المبين: {فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كلِّ فِرقةٍ منهم طائفةٌ ليتفقَّهوا في الدِّين}.[التوبة:١٢٩]

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الرسول الأمين قائد الغر الميامين القائل: "من يرد الله به خيراً يفقه في الدين".

وعلى آله الطاهرين وأصحابه الذين عملوا على نشر هذا الدين بالحجة والدليل الواضح المبين.

وبعد: فإن خير ما يشتغل به الإنسان معرفة الحلال والحرام من الأحكام، وعلم الصحيح من الفاسد من الأعمال؛ وعلم الفقه هو الذي أخذ على عاتقه بيان ذلك؛ فاللهم أخلص نياتنا وأعمالنا، ووفقنا لما تحبه وترضاه، وانفع المسلمين بما عملنا، واهدنا سواء السبيل.

معنى الفقه:

إن للفقه معنيين: أحدهما لغوي، والثاني اصطلاحي.

أما المعنى اللغوي: فالفقه معناه: الفَهم. يقال: فقه يفقه: أي فهم يفهم.

قال تعالى: {فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا}.[النساء:٧٨] أي لا يفهمون. وقال تعالى: {ولكن لا تفقهون تسبيحهم}.[الإسراء: ٤٤] أي لا تفهمون تسبيحهم.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن طولَ صَلاةِ الرَّجُلِ وقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ".[رواه مسلم:٨٦٩] أي علامة فهمه.

وأما المعنى الاصطلاحي؛ فالفقه يطلق على أمرين:

الأول: معرفة الأحكام الشرعية المتعلقة بأعمال المكلفين وأقوالهم، والمكتسبة من أدلتها التفصيلية، وهي نصوص من القرآن والسنة وما يتفرع عنهما من إجماع واجتهاد.

وذلك مثل معرفتنا أن النية في الوضوء واجبة أخذًا من قوله صلى الله عليه وسلم: "إنَّما الأعْمالُ بِالنيَّات".[رواه البخاري:١، ومسلم: ١٩٠٧].

وأن النية من الليل شرط في صحة الصوم أخذًا من قوله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ لَمْ يُبيِّتِ الصِّيَامَ قَبْلَ الفَجْرِ فلا صيام له".[رواه البيهقي ٤/ ٢٠٢، والدارقطني ٢/١٧٢، وقال: رواته ثقات].

ومعرفتنا أنَّ صلاة الوتر مندوبة، أخذًا من حديث الأعرابي الذي سأل النبي عن الفرائض، ثم قال بعد ذلك: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُها؟ قال: "لا إلاَّ أَنْ تَطَوَّعَ".[رواه البخاري:١٧٩٢، ومسلم:١١].

وأن الصلاة بعد العصر مكروهة أخذًا من نهيه عليه الصلاة والسلام عن الصلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس.[رواه البخاري:٥٦١، ومسلم:٨٢٧].

وأن مسح بعض الرأس واجب أخذًا من قوله تعالى: {وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ}. [المائدة:٦] فمعرفتنا بهذه الأحكام الشرعية تسمى فقهًا اصطلاحًا.

والثاني: الأحكام الشرعية نفسها، وعلى هذا نقول: درست الفقه، وتعلمته: أي إنك درست الأحكام الفقهية الشرعية الموجودة في كتب الفقه، والمستمدة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، وإجماع علماء المسلمين، واجتهاداتهم.

وذلك مثل أحكام الوضوء، وأحكام الصلاة، وأحكام البيع والشراء، وأحكام الزواج والرضاع، والحرب والجهاد، وغيرها.

فهذه الأحكام الشرعية نفسها تسمى فقهًا اصطلاحًا.

والفرق بين المعنيين: أن الأول يطلق على معرفة الأحكام، والثاني يطلق على نفس الأحكام الشرعية.

- ارتباط الفقه بالعقيدة الإسلامية:

من خصائص الفقه الإسلامي –وهو أحكام شرعية ناظمة لأفعال المكلفين وأقوالهم– أنه مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالإيمان بالله تعالى، ومشدود تمامًا إلى أركان العقيدة الإسلامية، ولا سيما عقيدة الإيمان باليوم الآخر.

وذلك لأن عقيدة الإيمان بالله تعالى هي التي تجعل المسلم متمسكًا بأحكام الدين منساقًا لتطبيقها طوعًا واختيارًا.

ولأن من لم يؤمن بالله تعالى لا يتقيد بصلاةٍ ولا صيامٍ، ولا يراعي في أفعاله حلالًا ولا حرامًا؛ فالتزام أحكام الشرع إنما هو فرع عن الإيمان بمن أنزلها وشرعها لعباده.

والأمثلة في القرآن الكريم التي تبيِّن ارتباط الفقه بالإيمان كثيرة جدًّا.

وسنكتفي بذكر بعضها لنرى مدى هذا الارتباط بين الأحكام والإيمان وبين الشريعة والعقيدة:

١- لقد أمر الله عز وجل بالطهارة وجعل ذلك من لوازم الإيمان به سبحانه وتعالى فقال: {يا أَيُّها الَّذينَ آمنوا إذا قُمْتُمْ إلى الصَّلاةِ فاغْسِلوا وُجُوهَكُمْ وأَيْدِيَكُمْ إلى المرافقِ}. [المائدة:٦].

٢- ذكر الله الصلاة والزكاة وقرن بينهما وبين الإيمان باليوم الآخر، قال تعالى: {الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}. [النمل:٣]

٣- فرض الله الصوم المفضي إلى التقوى، وربطه بالإيمان، قال تعالى: {يا أَيُّها الَّذينَ آمنوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ على الَّذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}. [البقرة:١٨٣]

٤- ذكر الله تعالى الصفات الحميدة التي يتحلى بها المسلم وربط ذلك بالإيمان به تعالى والتي يستحق بها دخول الجنة، فقال: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [المؤمنون:١-١١]

اللغو: الباطل وما لا فائدة فيه من قول أو فعل. لفروجهم حافظون: جمع فرج وهو اسم لعضو التناسل من الذكر والأنثى. وحفظها: صيانتها عن الحرام ومن الوقوع في الزنى خاصة. ما ملكت أيمانهم: النساء المملوكات وهن الإماء. غير ملومين: بوطئهن. العادون: الظالمون والمجاوزون.

٥- أمر الله تعالى بحسن معاملة النساء ومهَّد لذلك بنداء المخاطبين فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهاً وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً}. [النساء:١٩]

تعضلوهن: تمنعوهن من الزواج. بفاحشة: سوء خلق أو نشوز أو زنى. مبينة: واضحة وظاهرة.

٦- أمر المطلقة أن تعتدّ ثلاثة قروء وألا تكتم ما في رحمها إن كانت حاملاً وعلق ذلك على الإيمان بالله واليوم الآخر، قال تعالى: {وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ}.[البقرة:٢٢٨]

٧-أمر الله سبحانه وتعالى باجتناب الخمر والميسر والأنصاب والأزلام بعد أن نادى المؤمنين بوصف الإيمان، مشعرًا بأن اجتنابها مرتبط بخلوص إيمانهم؛ فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.[المائدة: ٩٠]

٨- حرَّم الله سبحانه وتعالى الربا وربط بين تركه وتحقيق التقوى والإيمان، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.[آل عمران:١٣٠]

وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}[البقرة:٢٧٨]

٩- حضَّ على العمل وأحاطه بسياج من الشعور بالمراقبة الإلهية والشعور بالمسؤولية؛ قال تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}.[التوبة:١٠٥]

وهكذا فقلَّما تجد حكمًا من أحكام الدين في القرآن إلا وهو مقرون بالإيمان بالله تعالى ومرتبط بأركان العقيدة الإسلامية، وبهذا اكتسب الفقه الإسلامي قداسة دينية، وكان له سلطان روحي، لأنها أحكام شرعية صادرة عن الله تعالى موجبة لطاعته ورضاه، وفي مخالفتها خطر غضبه وسخطه، وليست أحكامًا قانونية مجردة لا يشعر الإنسان لها برابط يربطها في ضميره، أو يصلها بخالقه.

عقبات على طريق الخلافة

د. أمين الدميري



لا شك أن كل مسلم واعٍ غيور يتمنى أن تعود الخلافة ، لكن كما قال الشاعر :

وما نيل المطالب بالتمني .. ولكن تؤخذ الدنيا غلابًا

ولكي يتحول المسلمون من الضعف إلى القوة ومن الفُرقة إلى الاجتماع لابد – حسب سنن الله عز وجل– أن يكون البدء من الداخل، ويتمثل ذلك فى أمرين:

الأول : تغيير ما بالنفس (عقيدة وأخلاق)، الثاني : السعي الصحيح (تحديد الهدف والدعوة إليه ؛ إحياء الفكرة والقناعة بها حتى تصبح أمرًا ملحًّا)، وهذا هو المسار الأول .

أما المسار الثاني فهو تحديد العقبات التي كانت ولا زالت تقف في طريق الخلافة؛ وأولها : النزعات الوطنية كبديل للعقيدة الإسلامية ، والفارق بينهما كبير ؛ فالأولى تقبل عملية التغريب وتتجاوب مع الغزو الفكري ولا تقبل مرجعية الدين ، وقد يتحالف أصحابها مع الآخر وتواليه ، والثانية ترفض ذلك لأسباب كثيرة ؛ أهمها البراء والولاء .

وكما هو معلوم فقد صاحب سقوط الخلافة ظهور حركات (وطنية) تنادي بشعار (الدين لله والوطن للجميع) وشعار (مصر للمصريين) وأن الخلافة لا داعي لها؛ بل هناك من قال إن الخلافة كانت نكبة على المسلمين ! أمثال علي عبدالرازق .

وثاني العقبات : النزعات القومية ؛ وتأتي خطورة هذه العقبة من حيث نشأتها اليهودية ؛ فيهود الدونمة هم الذين أثاروا القومية الطورانية في تركيا ونادوا بها (وقد كانت قومية تركيا قبل الإسلام) ، وفي تناغم متصل أرسلت بريطانيا "لورانس" ليؤجج فى العرب روح القومية العربية ردًّا على القومية الطورانية ، ويدعو ويؤلف للثورة العربية الكبرى ضد دولة الخلافة ! وابتلع العرب الطعم الإنجليزي ! وكما هو معلوم فإن من أوائل من نادى بالقومية العربية أشخاص غير مسلمين فى سوريا ولبنان ثم انضم إليهم بعض المسلمين ممن

تخرجوا في مدارس التبشير ، وكان من شأن ذلك توسيع الشُّقة وتعميق الخلاف والعداوة بين العرب والترك !

ومن غرائب الأمور أن بريطانيا أطمعت بعض الدول في نقل الخلافة إليها، ومن هنا فقد كانت القوميات كارثة من أكبر الكوارث على المسلمين والعرب ، والتي جلبت عليهم بعد ذلك الهزائم وأثارت بينهم العداوات .

ثالث هذه العقبات : ظهور الأحزاب العلمانية ، ومنها حزب الوفد (١٩١٨) والذي تولى الوزارة عام ١٩٢٤م ، والمفترض أن القضية الأولى للحزب هي الدفاع عن قضية مصر وإنهاء الاحتلال ، وقد ألغى النحاس معاهدة ١٩٣٦م التي كانت مبرمة مع الإنجليز دون أن يعلن الجهاد أو الكفاح الوطني ، مع أن الشعب كان مهيأ لذلك ؛ يقول عبد الرحمن الرافعي : " وكان الجميع يعتقدون أن الوزارة قد قدرت جميع الاحتمالات التي ستعقب الإلغاء ، واتخذت لكل احتمال عدته ، والخطوات العملية التي ستواجهها بها، ولكن تبين مع الزمن أنها لم تتخذ أية عدة لمواجهة الموقف ؛ فلا هي نظمت المقاومة ، سلبية أو إيجابية، ولا هي دربت المتطوعين ولا سلحتهم ، ولا زودت رجال البوليس فى مدن القنال بالسلاح والذخيرة". [مقدمات ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، دار المعارف، (ص٢٨)].

ومن هذه الأحزاب أيضًا حزب الأحرار الدستوريين (لطفي السيد) الذى قاد المعركة ضد الخلافة ، وضد إعلان الملك فؤاد خليفة للمسلمين ، كما رفض أن ينص الدستور المصري (١٩٢٣) على أن الإسلام هو دين الدولة ! كما تأسست أحزاب نسائية علمانية ؛ منها الحزب النسائي المصرى (١٩٢٤) ثم حزب بنت النيل (درية شفيق) ، وتطورت بعد ذلك الحركة النسائية للمطالبة بالمزيد من التحرر أو التحلل .

فماذا كان الحصاد ؟

لقد جرت الوطنية والقومية على العرب والمسلمين التخلف والتفرق والجهل، لقد ضحك علينا العلمانيون ودعاة التغريب ؛ بل أستطيع القول إنهم خانوا الدين والوطن ؛ قالوا لنا اتركوا الدين كي تنهضوا ؛ فتم ترك الدين ولم تأتِ النهضة؛ وبهذا قدموا للاستعمار هدية عظيمة وحققوا له أحلى أمانيه وما فشل هو فيه !

لذا فإنني أرى أن واجب الوقت وأجلَّ الأعمال وأفضل القُرُبات هي كشف العلمانية وفضح دعاة التغريب ؛ فهم أعداء الدين والوطن وهم العقبة فى طريق نهضة المسلمين ووحدتهم واجتماعهم تحت راية واحدة .

عاصمةٌ من قاصمةِ النظم السياسية غير الإسلامية

طلحة المسير



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإن المعترك الفكري في العالم المعاصر يمتلئ بكثير من المصطلحات الوافدة التي تساق إلينا سوقا، وتأخذ نصيبا وافرا من النقاش والجدل والصراع حولها؛ ما بين مؤيد ومعارض ومتحفظ، وما بين متبصر لحقيقة كل مصطلح وآخر يهرف بما لا يعرف.

وفي ظل الضوضاء الصاخبة التي تصاحب تلك المصطلحات، وتحت تأثير سيل جارف من وسائل التربية والتعليم، والنشر والإعلام، والفكر والثقافة، أصبح كثير من المسلمين مشوشي الفكر مضطربي الرؤية، فهم لا يعلمون عن حقيقة هذه المصطلحات إلا الاسم والشعار، دون تبصر لأبسط أسس هذه المصطلحات، فضلا عن معرفة حقيقة المعترك المقام حولها، ورؤية كل فريق وهدفه؛ فتجد من يعلن حبه للإسلام ودين الإسلام، وهو في ذات الوقت يطالب بتطبيق ما يناقض الإسلام في هذا النظام أو ذاك، وهذه الفكرة أو تلك.

وغزا المجتمع سيل من مصطلحات النظم السياسية غير الإسلامية؛ كالعلمانية، والعلمانية الشاملة، والعلمانية الجزئية، والليبرالية، والديمقراطية، وآليات الديمقراطية، والتكنقراطية، والدكتاتورية، والرأسمالية، والاشتراكية، والدولة الدينية، والدولة المدنية، والمجتمع المدني، والملكية الدستورية.. إلخ.

والحقيقة الجلية هي أن الإغراق في مناقشة تفاصيل تلك المذاهب، لا يناسب الخطاب الجماهيري العام، الذي تشتبه عليه المصطلحات، وتلتبس أمامه الرؤى، فلا يستطيع تبعا لذلك التمييز بين الحق

والباطل، والإيمان والكفر، والهدى والضلالة.

وأمام هذا اللبس الواضح في المجتمع، فإن على من حمل هم تبصير الناس بحقائق الدين الجلية أن يعمل جاهدا لإنقاذ عموم المجتمع من مزالق الفكر ومهاوي الضلالة، المتضمنة في تلك المصطلحات.

وهاك عاصمة من قاصمة تلك النظم السياسية غير الإسلامية:

* تبين موقف تلك المذاهب من تفاصيل وجزئيات نظام الحكم الإسلامي:

إن من الأمور الأساسية التي أدت إلى الاشتباه الحاصل في أذهان الكثيرين هو الإجمال الموهم، والاختصار المخل، وتلمس ما يمكن أن يكون وجه شبه بين جانب من جوانب الحكم في الإسلام، وجانب من جوانب الحكم في تلك النظم غير الإسلامية.

فمثلا عندما يركز المتحدث حديثه عن أهمية العدل في الإسلام، وحرص تلك النظم على العدل في الحكم، يغيب عن ذهنه أنه ما من أمة من الأمم إلا وتتغنى بالعدل، ولكن شتان بين العدل الحق وهو القائم على شرع الله جل وعلا، وما يحسبه البعض عدلا ولكنه في الحقيقة ظلم وإفساد في الأرض؛ لأنه قائم على أسس تخالف شرع الله جل وعلا، قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ}.[البقرة:١١-١٢]، قال ابن تيمية: "فَمَنِ اسْتَحَلَّ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا يَرَاهُ هُوَ عَدْلًا مِنْ غَيْرِ اتِّبَاعٍ لِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَهُوَ كَافِرٌ؛ فَإِنَّهُ مَا مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا وَهِيَ تَأْمُرُ بِالْحُكْمِ بِالْعَدْلِ، وَقَدْ يَكُونُ الْعَدْلُ فِي دِينِهَا مَا رَآهُ أَكَابِرُهُمْ". [منهاج السنة النبوية: ٥- ١٣٠].

ويدخل في ذلك من يتحدث عن عطف الإسلام بالفقراء ورحمته بهم، ثم يتحدث عن نظرة الاشتراكية للفقراء، وكذلك من يتحدث عن حث الإسلام على العمل والتجارة، ثم يتحدث عن النظرة الرأسمالية للكسب، وكذلك من يتحدث عن الشورى في الإسلام، ثم يتحدث عن الانتخابات في الديمقراطية، وكذلك من يتحدث عن أهمية العلم في الإسلام، ثم يتحدث عن الحكم العلماني أو حكم المتخصصين في التكنقراطية...إلخ

والواقع أن وقوع نوع من أنواع التشابه بين الإسلام والكفر لا يجوز أن يكون هو الأساس عند الحديث عما يناقض الإسلام؛ فقد يشبه بعض ما في دين الإسلام بعض ما في غيره من الأديان؛ كتلك الأديان التي تؤمن بوجود الله جل وعلا وأنه الخالق الرازق، وتصدق بوجود الملائكة، وتعترف بنبوة كثير من الأنبياء، وتوقن بالبعث بعد الموت، وهكذا.

بل الواجب التركيز على بيان المعتقد الذي تميز به المسلمون عن غيرهم من الكفار، والذي أوجب انقسام البشر إلى مؤمن وكافر؛ كنبوة محمد صلى الله عليه وسلم عند الحديث عن اليهود والنصارى، وختمه للنبوة عند الحديث عن القاديانية والبهائية، وتنزيه الله جل وعلا عن النقص وعن مماثلة خلقه عند الحديث عن مدعي الحلول والاتحاد... إلخ.

لذلك لا ينبغي عند الحديث عن تلك النظم السياسية المخالفة للإسلام أن يكون بطريقة الحديث المجمل عن الجمع والتوفيق بينها وبين الإسلام، بل لا بد من توضيح قضية الانقياد التام للشريعة في مجملها ومفصلها، ولا بد من إبراز قضايا الإسلام التي يتحاشى أدعياء تلك النحل الحديث عنها؛ لتتضح الأمور واضحة جلية؛ كمثل:

- قضية العلاقة بين المسلم والكافر، تلك العلاقة التي اشتمل القرآن الكريم على مئات الآيات القرآنية التي تتحدث عن الله والرب، والإيمان والإسلام، والكفر ومشتقاته؛ ليكون هناك تمايز واضح بين الطرفين، وقيام الحكم في الإسلام على هذه الصورة الواضحة الجلية من التمايز، فلا يسوي الإسلام بين المسلم والكافر في ممارسة السياسة والحكم، ولا في المشورة، ولا في إنشاء دور العبادة، ولا في إظهار ممارسة شعائر العبادة، ولا في الدعوة للأديان، ولا في الحرب والقتال، بل ولا في السلام والتحية، ويضاف إلى ذلك الموقف من الجزية التي يدفعها أهل الكتاب عن يد وهم صاغرون، وتحريم اتخاذهم أخلاء وأوداء.

فارتباط نظام الحكم في الإسلام بقضية أن الإسلام هو الدين الحق وأن ما عداه هو الباطل أمر أوضح من أن يوضح، خلافا لكل النظم السياسية الأخرى التي تحاد هذه النظرة وتعاديها.

- قضية العلاقة بين نظام الحكم في الإسلام وأفراد المجتمع؛ حيث يحدد الإسلام أطرًا تضبط السلوك الشخصي والجماعي، خلافًا لغيره من النظم التي وإن قبلت ببعض الضبط فلا تقبل بالضبط الكامل للإسلام، الذي يترتب عليه فرض الحجاب، وحذر المواد الثقافية التي تحوي مخالفات للإسلام، ومنع الأنشطة الترفيهية التي لا تتفق مع آدابه الكريمة، وازدراء الآلهة الجاهلية، ومنع تعظيمها، وتكسير الأوثان والأصنام، وضبط العادات الاجتماعية، وإقامة عقوبات الحدود الشرعية...إلخ.

- قضية العلاقة بين الإسلام والوطن؛ حيث يبني الإسلام المجتمع المسلم على قيم مرتكزة على الإسلام، لا على الأصل، ولا على مكان النشأة، ولا على العرق، ولا على اللغة، ولا على اللون؛ فكانت للإسلام أحكامه الظاهرة في الولاء والبراء والهجرة والجهاد، خلافا لكل النظم السياسية الأخرى التي تقيم مجتمعها على أسس أخرى اقتصادية، أو قومية، أو وطنية شعوبية...إلخ

- قضية اشترط الإسلام في تولي أمر المسلمين العام شروطا منها: الإسلام، والذكورة، والقرشية، والاجتهاد، وتلك الشروط محل رفض من النظم غير الإسلامية خاصة شرط القرشية وشرط الاجتهاد في الشريعة.

وهكذا فإن تفصيل الأحكام يُبين الحقيقة الواضحة للعلاقة بين الإسلام وتلك النظم الأخرى، ويكشف حقيقة التلبيس الذي يمارسه الكثيرون عند نشر مذاهبهم الباطلة.

التكالب العالمي على سوريا

كريم الشاهد



سنوات للوراء..

لقد سقطت الإمبراطورية السوفيتية وتفككت بعد الهزيمة في أفغانستان في ثمانينيات القرن الماضي علي يد المجاهدين الأفغان والعرب، ثم دُكّت حصونها مرة أخرى علي يد مجاهدي الشيشان.

ولذلك فإن الروس يعلمون جيدًا قوة المجاهدين ومقدرتهم علي إحداث النكاية في عدوهم، رغم قلة عددهم وعتادهم.

ثم هوت الإمبراطورية الأمريكية منذ بدايات القرن الحالي وحتى الآن على يد المجاهدين في أفغانستان أيضًا، ولا يزالون غير قادرين على الخروج من أفغانستان؛ لأنهم إذا خرجوا فسوف يعود المجاهدون إلى الحكم مرة أخرى، ثم هم غير قادرين أيضًا على الاستمرار في أفغانستان لأن خسائرهم المادية والبشرية فاقت كل التوقعات.

بل إن الهزيمة لم تنل الأمريكان والروس فقط في أفغانستان، لكنها أيضًا قد نالت الناتو، وها هي دول الناتو تنسحب واحدة تلو الأخري فرارًا من أراضي الأفغان.

والآن نرى الفرنسيين الآخذين الإذن من الولايات المتحدة لشن حملة إرهابية غربية أخرى جديدة على شعب مالي المسلم، وهم قد وقعوا في ورطة كبيرة، فالمجاهدون يحققون انتصارات متتالية عليهم، والرئيس الفرنسي قد اعترف بضخامة خسائرهم هم وأعوانهم من الأفارقة الذين تكالبوا على مالي، وما ينتظرهم أكبر إذن الله.

أما العراق، فإن الأمريكان لم يجدوا أحدًا يواجههم هناك سوى المجاهدين، الذين تجمعوا تحت الكيان المسمي بـ"دولة العراق الإسلامية"، والذين كبدوا الأمريكان ومن والاهم الخسائر الفادحة، وفرّت أمريكا من العراق تاركة الأمور للشيعة ومن تحالف معهم من الحركات السنية العميلة الغارقة في وهم التوافق!

وحتى نفهم الوضع في سوريا فلابد وأن نعلم الآتي:

أولًا: لقد تجمع الشيعة من إيران والعراق وحزب الله بلبنان ليساندوا إخوانهم العلويين في سوريا، ويمدوهم بالسلاح والمال والرجال.

بل إن حتى الإخوان في سوريا لا يقاتلون، بل هم ينتظرون حتى يسقط بشار ليصعدوا إلى الحكم، ثم يقولون للغرب أنهم مدنيون مسالمون ولم يقاتلوا، وأنهم لا يمثلون أي خطر على الغرب.

ثانيًا: إنه لا يوجد كيان يسمى "الجيش السوري الحر"؛ بل إن هذا الاسم يُطلق على جميع الكتائب التي تقاتل ضد بشار، أي يطلق على المقاومة الشعبية عمومًا، وهذه الكتائب منفصلة وليست مجتمعة تحت كيان واحد أو قيادة واحدة.

أما الكيان الواحد الكبير المجتمع فهو "جبهة النصرة"، وهؤلاء هم الذين يمثلون الأزمة الكبرى للغرب، فجبهة النصرة ليست إلا صورة أخرى لهؤلاء الذين يقاتلون الغرب في أفغانستان والشيشان والعراق ومالي والصومال وغيرهم.

لكن الوضع في سوريا أشد كارثية وأكثر تأزمًا، فهؤلاء المجاهدون يقاتلون على حدود ما يُسمى "إسرائيل"، الدولة الوظيفية القائمة على تحقيق مصالح الولايات المتحدة الأمريكية فيما يُسمى بـ"الشرق الأوسط".

ثم هناك مشكلة أخرى غير القرب من "إسرائيل"، وهي أن هؤلاء المجاهدين لن يقبلوا أن يقيموا علاقات وتعاونًا مع الغرب كغيرهم من "الإسلاميين" الحاكمين في السعودية ومصر وتونس.

ثم المشكلة الثالثة، وهي أن مجاهدي جبهة النصرة لن يقبلوا أن يصل أحد غيرهم إلى الحكم، سواء كان إسلاميًّا أم غير إسلامي بعد التجارب المريرة التي رأوها قبل الثورات وبعدها.

ولكل ذلك، فإننا نرى هذا التكالب الفج على مجاهدي سوريا؛ فقد اجتمعت مصالح الولايات المتحدة وروسيا والصين وإيران والعراق وحزب الله لبنان والعلمانيين والعلويين السوريين وغيرهم من عملاء العرب والعجم، وذلك لإسقاط إرادة الشعب السوري.

ولكنني أقول إن النصر حليفهم بإذن الله، وإن نصروا الله فإنه ناصرهم ومثبت أقدامهم، وأبشرُّ المسلمين أنه إذا انتصر المجاهدون السوريون فسوف تنقلب خريطة الشرق الأوسط رأسًا على عقب، وسيأتينا أعداؤنا من الغرب أذلة وهم صاغرون.

العدوان على مالي والحرب الوعرة

حُراس الشريعة



الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد خير خلق الله وبعد:

فلا تزال الحرب التي شنتها فرنسا على شمال مالي مشتعلة، والتي من آكد أهدافها إلى جانب نسف الحكم الإسلامي تدمير النواة الصلبة للحركات الإسلامية بقتل أو أسْر قادتها.

وقد نشرت صحيفة الخبر الجزائرية قائمة بأسماء هؤلاء المجاهدين وعلى رأسهم عبد الحميد أبو زيد، ومختار بلمختار (الذين أشيع أنهما استشهدا ولم يتأكد الخبر بعد في ظل ورود أخبار تؤكد أنهما يقودان المعارك)، وأغوما عبد الله، وحمادة ولد محمد الخيري، وأحمد التلمسي، وجمال عكاشة أبو الهمام، وعبد الرحمن التندغي الموريتاني، وأبو محمد التونسي، وتومي ناصر الجزائري.

وذكرت الصحيفة أن القوات الفرنسية وحلفاءها تتجنب التعرض لأمير جماعة أنصار الدين إياد أغ غالي من أجل تحييد قبيلته، التي قد تثور في حالة تصفيته.

وردًّا على تساؤل الكثيرين أين جثة من زعم أنهم قُتلوا من المجاهدين أجاب رئيس تشاد: "احتراما لمبادئ الإسلام لم تعرض الجثتان"!! في حين قال وزير الدفاع الفرنسي إنه غير مقتنع بقتلهما لعدم وجود أدلة كافية.

وقد نفت مصادر مطلعة للموقع الإخباري "الحدث الأزوادي" مقتل القيادي في تنظيم القاعدة عبدالحميد أبو زيد مؤكدة تواجده الآن في منطقة ما في إقليم أزواد شمال مالي سليمًا معافى.

انسحاب أم كمين؟

وكعادة حرب الشوارع أو حرب العصابات لم يستقر خصوم فرنسا من الحركات الإسلامية في أماكنهم ومقراتهم، الأمر الذي جعل البعض يظن أنهم قد فروا هاربين!

وقد ذكر مراسل وكالة الأناضول للأنباء أن المجاهدين انسحبوا إلى بلدة "تسكوكة" على بعد حوالي ٥٠ كيلو متر من مدينة كيدال بشمال البلاد، وقال المراسل إن المئات من مقاتلي جماعة أنصار الدين وحركة التوحيد والجهاد يحتمون بالتضاريس الوعرة والمغارات العميقة في

منطقة تسكوكة من أي هجوم بري أو جوي تشنه القوات الفرنسية، ورصدت الوكالة أعدادًا من المقاتلين يعدون العشرات من الكمائن ويزرعون العبوات الناسفة التي يعتقد أن الفرنسيين وحلفاءهم من القوات الإفريقية قد يسلكونها وسط الصحراء القاحلة.



وتذكر الأناضول أن المجاهدين يحملون أسلحة مضادة للطائرات على متن سيارات تم طلاؤها بالزيوت ثم تم رمي الرمال عليها حتى تتخفى من طائرات التجسس، ورصد المراسل عدد غير قليل من المقاتلين قادمين من ليبيا وتحديدًا من بنغازي ومصراتة، حيث احترفوا الحرب جيدًا في عملياتهم العسكرية للإطاحة بنظام القذافي .

ويقول أحدهم يدعى أبو محمد عطية الله المصراتي لمراسل الأناضول "إن أغلب المقاتلين اليوم يريدون النصر أو الشهادة وهي إحدى الحسنيين، فماذا يفعل بنا أعداؤنا، قتلنا شهادة وسجننا خلوة ونفينا سياحة، تركنا لهم الدنيا وما فيها فلماذا يريدون إزهاق روح هذه الإمارة المباركة؟ ذنبها الوحيد أنها تريد تحكيم الشريعة فقط؟! لقد تركنا لهم الدنيا وما فيها فلماذا هذه الحرب إذن على المسلمين؟".

وقد جاء بصحيفة نيويورك تايمز الأميركية ما يفيد أن القوات الفرنسية لن ينتهي تواجدها بمالي بشكل سريع كما تتوقع، بسبب المرونة في الأساليب التي يتمتع بها المسلحون الإسلاميون هناك، وأن العمليات الفرنسية الجارية بالتعاون مع القوات التشادية والتي حصدت بعض القتلى في صفوف الطرفين تعد دليلًا إضافيًّا على أن التدخل العسكري الفرنسي ضد جهاديي مالي، والذي كان ينظر إليه في بادئ الأمر على أنه ضربة خاطفة، لن تتراجع حدته قريبًا.

خسائر فرنسية أفريقية رغم الرعب من المواجهة!

إذا صدقنا الحكومة الفرنسية فقد قالت في تصريح رسمي إن جنديًّا رابعًا من قواتها قُتل في مالي، وذكر مكتب الرئيس الفرنسي فرانسوا أولوند أن الجندي برتبة سرجنت، وقتل خلال عملية في شرق مالي على بعد نحو ١٠٠ كليومتر من بلدة جاو.

وذكرت وزارة الدفاع الفرنسية أن ثلاثين مصابًا من الجنود الفرنسيين وصلوا

فى وقت متأخر إلى مطار "رواسى شارل ديجول" بعد إصابتهم خلال المعارك الجارية في العمليات التى تدور رحاها في منطقة "أدرار إيفوغاس".

وقد قام الرئيس الفرنسي ثم وزير الدفاع الفرنسي بزيارة الجيش الفرنسي بشمال مالي لرفع معنوياته!

وإذا انتقلنا إلى الجيوش العميلة للقوات الفرنسية الصليبية فقد تكبدت القوات المالية والتشادية خسائر فادحة، حيث إنهما طليعتا القوات المشاركة في العدوان ويكادان يكونان القوتين الرئيستين في الحرب، فالجيش الفرنسي يصدرهما في كافة المعارك تقريبًا، في حين أن القوات الفرنسية لا تشارك برًّا على الأرض إلا لمامًا ومن أجل تصوير الكاميرات لهم كالأبطال! وهي في الحقيقة في الغالب لا تشارك إلا جويًّا بتغطية القوات الإفريقية.

وقد تم قتل عبدالعزيز حسن آدم قائد القوات التشادية العميلة لفرنسا، وإصابة الجنرال محمد دبي ابن الرئيس التشادي بجروح خطيرة في المعارك الدائرة مع الإسلاميين بإفوغاس.

وصرّحت مصادر خاصة من الشمال المالي لـ"أنباء إنفو" أن مجموعة من الجيش التشادي ينحدرون من قبيلتي الزغاوة والقرعان انسحبت من الخطوط الأمامية للمعارك الدائرة بين قوات الايكواس مدعومة بالطيران الفرنسي والمجموعات الجهادية المتحصنة في جبال إيفوغاس، وجاءت عملية الانسحاب بعد إصابة نجل الرئيس التشادي في مواجهات مع الإسلاميين، وذلك بعد ساعات من مقتل قائد القوات التشادية مع العشرات من جنوده في مواجهة برية شمال كيدال في الثاني والعشرين من فبراير.

وتقول المجموعة المنسحبة من الجيش التشادي: "إن شجاعة التشاديين التي طالما عُرفوا بها أصبحت ذريعة لاستغلالهم من قبل فرنسا التي زجت بهم في معركة غير متكافئة مع أشباح يظهرون ويختفون فجأة! في الوقت الذي تتقدم فيه عناصر الجيش التشادي للخطوط الأمامية نشاهد بقية القوات الأفريقية ترفض التقدم".

وتحت عنوان "إدريس دبي الجزار" تحدثت صحيفة tchadactuel إحدى الصحف التشادية عن المجزرة التي تعرضت لها وحدة تشادية في جبال إفوغاس علي يد المجاهدين، الصحيفة ألقت باللائمة على الرئيس إدريس دبي الذي سردت تاريخه الطويل في الجيش والملطخ بالدماء.

وفيما يلي صور لجنازة العشرات من جنود الجيش التشادي:





وفي اتصال أجري معه من باماكو أعلن مصدر طبي انفجار سيارة مفخخة في كيدال في حاجز تسيطر عليه "الحركة الوطنية لتحرير أزواد" الموالية لفرنسا، وقد قال المصدر الطبي لوكالة فرانس بريس أن حصيلة انفجار السيارة المفخخة هو ٧ قتلى و ١١ جريحًا في صفوف الحركة.

وقد سبق أن أعلنت مالي رسميًّا أواخر شهر فبراير مقتل ٣٧ من جنودها في المواجهات وإصابة ١٨٧ .

الإعلام الصهيوصليبي العالمي والفرنسي ومسلسل الكذب!

لا يذكر الإعلام الصهيوصليبي العالمي الخسائر التي تتكبدها فرنسا والقوات الأفريقية الموالية لها إلا النادر، بل وتختلق معارك وهمية لا أساس لها من الصحة!

وقد نفت مصادر مقربة من الإسلاميين الرواية الفرنسية عن المعارك التي دارت في منطقة تغرغارين في الشمال الشرقي لإقليم أزواد، وقالت لـ"الحدث الأزوادي": "إن ما صرحت به قيادة الأركان الفرنسية لوسائل الإعلام وتبناه الرئيس فرانسوا أولاند عن مقتل جندي فرنسي وحيد في مقابل عشرين قتيلًا في صفوف الجهاديين خلال معركة تغرغارين الأخيرة غير صحيح". مبينةً أن العدد الحقيقي للقتلى الفرنسيين ثلاثة قتلى في هذه المعركة وحدها! بالإضافة إلى إصابة عشرة جنود آخرين بجراحات خطيرة، ومؤكدة أن خسائر الجهاديين في المعركة محدودة جدًّا.

وأشارت المصادر إلى أن القوات الفرنسية هي من بدأت المعركة بقصد تحرير رهائن فرنسيين يحتفظ بهم المجاهدون، وذلك بناء على معلومات مضللة، حيث تم إنزال ما يزيد على ١٤٠ مظليًّا في أحد كهوف تغارغرين، لافتة إلى أن المجاهدين أمطروا المظليين بالرصاص بمجرد نزولهم، وطوقوهم بحصار من القذائف حال بينهم وبين التقدم!

وأوضحت أن المروحيات الفرنسية التي تمشط المنطقة عجزت عن التدخل خوفًا من إصابة الجنود الفرنسيين نظرًا لكون المعارك دارت بعد منتصف الليل، مشيرة إلى أن الفرنسيين لم يتمكنوا من فك الحصار إلا بعد طلوع الشمس؛ حيث انسحبوا مخلفين وراءهم أسلحة ومعدات ثقيلة!

وقالت أيضًا إنه لم تحدث أية معركة في "امناس" وأن ما تناقلته وسائل الإعلام عن مقتل ستين جهاديًّا في المدينة غير صحيح، لافتة إلى مقتل ثلاثة جنود فرنسيين وأعداد كبيرة من القوات التشادية في المواجهات التي جرت بينهم وبين المجاهدين في أضغاغ.

فرنسيون مسلمون يقاتلون جيش بلادهم!

وقد أعلنت القوات الفرنسية اعتقال مجاهد فرنسي الجنسية في شمال مالي يقاتل مع المجاهدين ضد جيش فرنسا وحلفائها وتم نقله إلى فرنسا.

وفي حواره مع قناة "بي اف ام تي في" التلفزيونية أكد وزير الداخلية الفرنسي مانويل فالس أن "حفنة" من الفرنسيين أو المقيمين في فرنسا يقاتلون حاليًا في مالي وسوريا إلى جانب الجهاديين.

فرنسا والإغراء بالدنيا!

وذكرت وكالة الأناضول للأنباء عن أغ جمار القيادي في "الحركة الوطنية لتحرير أزواد" بمدينة غاو في شمال مالي أن القوات الفرنسية تعرض مكافآت مالية تتراوح ما بين ألف إلى عشرة آلاف يورو لكل من يسلم نفسه طواعية من المجاهدين بشرط تسليم سلاحه.

وأضاف جماز أن المكافأة قد تصل إلى ٥٠٠ ألف يورو لكل من يدل على مكان احتجاز الفرنسيين أو مواقع المعسكرات وتخزين الأسلحة، أو أماكن قياديي الجماعات الإسلامية.

وفي سياق متصل قال جمار: "إن المخابرات الفرنسية استجوبت عشرات الموقوفين من عناصر أنصار الدين في قاعدة عسكرية بشمال مالي؛ حيث تدير العمليات الأمنية التي تهدف للبحث حول مصير الرهائن الفرنسيين المختطفين لدى الجماعات المسلحة في شمال مالي".

وأشار القيادي بحركة أزواد إلى أنه يتم يوميًّا في هذه القاعدة "استقبال الأشخاص الذي يرغبون في تقديم معلومات حول (تنظيم) القاعدة والمنظمات المسلحة".

ولم يستبعد أغ جمار "وجود ضباط من المخابرات المركزية الأمريكية داخل هذه القاعدة العسكرية".

الصحراء تقاتل مع المجاهدين!

وكشفت "أنباء إنفو" استنادًا إلى شهود عيان عن حالات إغماء بفعل الحرارة المرتفعة عانى منها جنود فرنسيون قرب جسر غاوه، وحسب تلك المصادر فإن ما لا يقل عن ٣٠ جنديًّا فرنسيًّا من بينهم بعض الضباط عانوا من حالات إغماء وتقيؤ بفعل الحرارة، وقد تم إسعافهم ونقلوا جوًّا إلي بماكو، ويأتي توعك الجنود الفرنسيين على اثر ارتفاع درجات الحرارة التي وصلت يوم ١١-٣-٢٠١٣م ٤٠ درجة تقريبًا ويرجح أن تصل حدود ٤٦ درجة منتصف الشهر المقبل، وهو ما يعني أن المناخ الصحراوي سيهزم الفرنسيين.

تصفية العرب والمتدينين!

وخلال زيارة رئيس مالي إلى موريتانيا ندد متظاهرون أمام القصر الرئاسي بالعاصمة نواكشوط بالانتهاكات والتصفيات التي يقوم بها الجيش المالي العميل في شمال مالي، ودعوا للكشف عن مصير المفقودين والمختطفين.

وفي حوارها مع "الجزيرة نت" قالت المنجية بنت حمود -وهي شقيقة لمدير مدرسة النور المبين في تمبكتو محمد الأمين ولد حمود الذي قُتل بعد دخول القوات المالية إلى المدينة-: "إن الرسالة الأهم التي يود المتظاهرون إيصالها للرئيس المالي هي أنه غير مرحب به". وأضافت قائلة "إنه سفاح قاتل، قتل ولا يزال يقتل العشرات من الأبرياء العرب والطوارق دون ذنب اقترفوه سوى أنهم يحملون بشرة فاتحة".



وطالبت المتظاهرة عيش بنت سيدي أعلي بالوقف الفوري للقتل، والكشف عن مصير المفقودين الذين قالت إنه لا يعلم مصيرهم هل هم أحياء أم أموات، مرجحة قتلهم.

ولم تتوقف الانتهاكات عند العرب بل نالت كل من يتحلى بالسمت الإسلامي والسنة النبوية! كما في الصورة التالية:



الخمر يعود من جديد!

وقد رصدت صحيفة القدس العربي عودة مشهد رجال يتجمعون عند غروب الشمس لاحتساء البيرة على ضفة نهر النيجر إلى حياة غاو أكبر مدن شمال مالي، وفتحت حانة "بوتي دوغون" بجدرانها الحمراء وكراسيها البيضاء وقناني البيرة غير الباردة، مجددًا أبوابها هذا الأسبوع، وحضر إلى الحانة مساء الأحد عشرة أشخاص جلس بينهم جندي مالي، وبندقية الكلاشنيكوف بين ساقيه، وعلامة فرنسية على صدره، وقال يحيى مايغا (٣٣ سنة – سائق شاحنة) وهو يشرب بيرته ويدخن سيجارة: "هذه البيرة بفضل فرنسوا أولاند"!

وقد فر صاحب "بوتي دوغون" من المدينة بعد وصول الإسلاميين ولجأ إلى الجنوب، لكنه لم يعد إلا بعد شهر من وصول الفرنسيين، وقال: "رغم أننا لم نكن مستعدين لكن قلنا لا بد من فتح الحانة لنثبت أن كل شيء قد انتهى". ثم قال ضاحكًا: "حرية! وداعًا أيها الإرهابيون".

وقد كانت غاو بها عشر حانات ومطاعم وهي "اليورو" و"بارجي" و"بون سيجور..."، لكن بعد ذلك تعين على أصحابها العمل دون بيع الكحول، وقال عثمان المدرس السابق الذي عايش تلك الأشهر من تطبيق الشريعة: "في البداية كنا نخفي الكحول في أواني الزيت ووسط أكياس الفحم ونحتسيه خلسة لكننا توقفنا لأن بعضنا تعرض إلى الجلد".

بل أحياء!

وقد أكد مصدر خاص لـ"صحراء ميديا" أن أمير كتيبة "يوسف بن تاشفين" المعروف بالقيرواني واسمه الحقيقي سيدنا أغ هيتا، استشهد في اشتباكات عنيفة مع القوات الفرنسية والتشادية في منطقة أجلهوك التي تبعد ١٠ كيلومتر عن جبال تغرغارين التي يتحصن فيها مجاهدون.

وينتمي القيرواني إلى الصف الأول من المجاهدين رفقة الجزائريين عبد الحميد أبو زيد ويحي أبو همام وخالد أبو العباس (بلعوار)، إضافة إلى الموريتاني محمد الأمين ولد الحسن ولد الحضرمي المعروف بعبد الله الشنقيطي.

وفي الختام، نسأل الله تعالى أن ينصر المسلمين في كل مكان، وأن يهزم فرنسا والأمريكان، وكل من آذى المسلمين في كل زمان، وصلى الله وسلم وبارك على رسولنا محمد النبي العدنان.

أُمةٌ واحدةٌ

حسام الحفناوي



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد؛

روى البخاري ومسلم –واللفظ له– من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى".

وروى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ".

ومنذ أن انساح الصحابة رضي الله عنهم، يفتحون أقطار الأرض، وينشرون دين الله تعالى في الآفاق، ويدخلون الناس في دين الله أفواجًا، وشعور الأمة الواحدة مُتَجَذِّرٌ في أعماق المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

ذلك الشعور الذي لا يُوَهِّنه اختلاف الألسن واللهجات، وتَبايُن العادات والطباع؛ فإن آثار ما مضى من الاختلاف والتباين لا تَعْدو إيجاد بعض صعوبات في المُخالَطة.

ولا يُضْعِفُه صراعُ مَلِكين مسلمين متجاورين على توسيع رُقْعة ممالكهما؛ إذ لا تتجاوز عواقِبُه السلطات الحاكمة إلى الشعوب المحكومة، بل لا يَحول ذلك الصراع بين تَعاضد المَلِكين المسلمين المتصارعين وإن كان صراعًا مَحْضًا على الدنيا على صَدِّ العدو الكافر الصَّائل على ديار المسلمين.

ولا يجتثه حمية قبلية جاهلية، قد يَستعِرُ أُوارُها بين حين وآخر؛ حيث كانت الحَمِيَّةُ للإسلام تَسْتَعْلِي في صدورهم على غيرها، إن رأوا ما يَمَسَّه، ويُهَدِّد كيانَ أُمَّته.

ولا ننكر وجود نماذج في التاريخ الإسلامي مَزَّقَت مفهوم الكيان الواحد للأمة المسلمة، فحَمَلَتْها المطامع والشهوات على موالاة الكافرين على المسلمين، أو دَفَعَتْها العَصَبِيَّةُ الجاهلية إلى تقديم رابطة النَّسَب والجِوار على رابطة الدين، ولكنها نماذج قليلة في عموم التاريخ الإسلامي، مَنْبوذة من مُسْلِمي عصرها، مُشَنَّعٌ عليها ممن أتى بعدهم، يَقْتَرِن ذِكْرُها على الدوام بمعاني الخيانة، ولا

يَنْفَكُّ علماء المسلمين عن نَعْت أصحابها بشَتَّى نُعُوت الخِسَّة، والنَّذَالة، وهم لها أهل وزيادة.

بعض الأمثلة التاريخية لشعور الكيان الواحد:

إن الأمثلة التاريخية الموضحة لشعور الجسد الواحد للأمة المسلمة كثيرة بحمد الله على مدار الحِقَب التاريخية المتتالية، وسوف نكتفي بإيراد بعض نماذجها من منطلق إيضاح التطبيق العملي لتَرَسُّخ مفهوم الأمة الواحدة.

فعندما تشتت الكيان الإسلامي في الأندلس في القرن الخامس الهجري إلى ممالك عديدة، يتصارع أكثرها، ويستعين بعضها على بعض، ولا يستحيي بعض ملوكها من طلب العون من نصارى الأندلس القشتاليين على إخوانه في الدين.

فاغتنم العدو النصراني هذه الفرصة الذهبية، ووَسَّع أراضيَه على حساب ممتلكات المسلمين، وكاد أن يلتهم شِبْه الجزيرة الأندلسية بأَسْرها، وصار المسلمون في الأندلس في موقف عصيب جدًّا، فاقترح بعض ملوك الطوائف الاستغاثة بدولة المرابطين التي كانت تحكم آنذاك المغرب الأقصى، ومساحة شاسعة من غرب القارة الإفريقية، وتقيم العدل، وتُعْلِي راية الجهاد في سبيل الله.

وقد سارع المرابطون إلى تلبية النداء، وجاء أميرهم يوسف بن تاشفين بنفسه على رأس الجيوش المرابطية المجاهدة، وأنزل بنصارى قشتالة هزيمة ساحقة في المعركة التاريخية الخالدة المعروفة بالزَّلَّاقة، وتَعَفَّف عن أخذ شيء من المغانم بعد المعركة.

وقد صنع مثل صنيعه بعد ما يقارب القرنين من الزمان سلطان الدولة المرينية الحاكمة لبلاد المغرب الأقصى، فبعد أن تسارع سقوط مدن الإسلام فيها في أواسط القرن السابع الهجري، والتهمت مملكة أراجون النصرانية أغلب أراضي المسلمين في شرق الأندلس، وانتزعت مملكة البرتغال النصرانية ما بقي من غربها، وكان لمملكة قشتالة النصيب الأوفر في انتزاع الكثير من حواضر الأندلس، ومدنها الكبرى، وانحسر المسلمون في جزء صغير من جنوب شرق الأندلس، أقام فيه بنو الأحمر مملكتهم، واتخذوا من غرناطة عاصمة لهم، وقد سارعوا بطلب المدد والعون من إخوانهم في مغرب الإسلام عندما كاد القشتاليون أن ينتزعوا مملكة غرناطة، وينهوا الوجود الإسلامي في الأندلس بالكلية، فعَجَّل السلطان المغربي يعقوب بن عبد الحق المريني بإرسال المجاهدين المرينيين لنجدة أهل الأندلس، ثم عبر بنفسه على رأس الجيوش المرينية، وغزا أراضي قشتالة، وخَرَّب حُصونها، ودَكَّ

مَعاقِلِها، وغنم ما لا يحصى من الأموال، والمواشي، والأسرى، وأنزل بالجيش القشتالي الكبير الذي قاده "دون نونه" – وكلمة دون تعني السيد باللغة الإسبانية– هزيمة ساحقة، وقتل قائده، وترك المغانم لأهل غرناطة كما فعل ابن تاشفين مع ملوك الطوائف من قبل.

ورغم كل ما لقيه من ملك بني الأحمر من خيانة وغدر، إلا أنه كان يسارع إلى نجدته المرة بعد المرة من جيوش نصارى قشتالة، معرضًا عما بدر منه تجاهه من قبل، رغبة في تخليص مسلمي الأندلس من شبح الخطر النصراني، وقد أكثر من غزو بلادهم، حتى صارت بلادهم خرابًا مُقْفِرة، فسعوا إليه أَذِلَّاء، يَسْتَجْدون في طلب الصلح، فقبل بعد تكرار الطلب والتذلل فيه، وشرط لمسلمي الأندلس شروطًا كثيرة على نصارى قشتالة، مَرَّغت أنوفَهم، وكسرت كبرياءهم، فقبلوها مضطرين لعجزهم عن دفعه، وصانوا المعاهدة إلى حين.

ولما نَقضوا العهد مع غرناطة بعد وفاة السلطان يعقوب بن عبد الحق، سارع ملك غرناطة بالاستغاثة بولده يوسف بن يعقوب بن عبد الحق، فسار على نهج أبيه في المسارعة إلى نجدة المسلمين هناك، وتَأَسَّى بوالده في العفو والصفح عن غَدَرات ملك بني الأحمر الذي كان يريد الدخول في حِلْف مع قشتالة ضد إخوانه من المرينيين الذين مَدُّوا يد العون له مرات ومرات، ولكن حرص يوسف بن يعقوب على دَفْع صَوْلة العدو عن المسلمين في الأندلس كانت أهم عنده من الانتقام من ملك بني الأحمر، أو التشفي بتركه لُقْمة سائغة لعدوه الكافر؛ لأن تَخَلِّيَه عنه سيعني تَمَكُّن العدو الكافر من بلاد المسلمين، وأموالهم، وأعراضهم.

وقد ضربت الدولة العثمانية المفترى عليها أمثلة كثيرة للحرص على نصرة قضايا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها؛ فقد كان للقوة العثمانية المشاركة في معركة وادي المخازن التاريخية الفاصلة في تاريخ المغرب الأقصى الدور البارز في إنزال الهزيمة الساحقة التي مُنِيَت بها جيوش مملكة البرتغال، تلك المعركة التي كان لها الأثر البالغ على إضعاف الاستعمار البرتغالي في سواحل بلاد المغرب الأقصى، ومَهَّدت لتحرير العديد من مدن المغرب الساحلية من قبضته، وصانَت الداخل المغربي الذي كان البرتغاليون يتَمَدَّدون من المدن الساحلية التي احتلوها إليه بين الفَيْنة والأخرى.

وكم غزت الأساطيل العثمانية سواحل إسبانيا، وأنزلت بها الخسائر الفادحة، وأعانت الكثير من أهلها على الفرار من بَطْش الإسبان النصارى، وشَرَطَت على

ملوك فرنسا وغيرهم ممن مَرَّ المسلمون الفارون بدينهم من إسبانيا ببلادهم أن يحسنوا معاملتهم، وييسروا لهم وسائل السفر التي تنقلهم إلى ممتلكات الدولة العثمانية في شرق أوروبا.

ولم تقتصر جهود العثمانيين في مناصرة قضايا المسلمين في العالم على مسلمي الأندلس، بل تَعَدَّت ذلك إلى مُسلمي الحَبشة، وممالك المسلمين في سواحل شرق إفريقية، وكذلك في سواحل الخليج العربي، والبحر الأحمر، ومسلمي الهند، وشرق آسيا.

وقد كانت سواحل المسلمين في كل تلك البلاد مُهَدَّدة من قِبَل الأساطيل البرتغالية النصرانية؛ حيث كانت البرتغال -رغم صغر مساحتها- تمتلك أقوى أسطول بحري في ذلك الزمان، وتسعى لتوسيع دائرة ممتلكاتها عبر الفتوح البحرية الواسعة، وتفرض النصرانية على البلاد التي تحكمها.

وكثير ممن يَعُدُّهم المؤرخون في العصر الحاضر في صفوف المكتشفين الجغرافيين لم يكونوا في الحقيقة سوى غُزاة صليبيين، يَسْعون لفرض النصرانية على شعوب العالم أجمع، سواء كانوا من بَحَّارة الأساطيل الإسبانية، أو البرتغالية، وبعضهم كانوا من شعوب أوروبية أخرى، انضوت تحت حكم الإمبراطورية الإسبانية حين اتسع ملكها، وصارت أكبر ممالك أوروبا النصرانية في القرن العاشر الهجري- السادس عشر الميلادي، كالبَحَّارة من الجمهوريات البحرية الإيطالية، مثل جنوة، والبندقية المعروفة بفينيسيا، وبيزا، ونابولي، وغيرها؛ فإضفاء الصفة العلمية المحضة على كشوف هؤلاء الجغرافية دون النظر في دوافعهم الصليبية، وأعمالهم الوحشية التي أنزلوها في سبيل فرض النصرانية على شعوب المسلمين وغير المسلمين ضَرْبٌ من ضُروب تزييف التاريخ، وخداع الشعوب.

وقد كان للدولة المملوكية التي كانت تبسط سيطرتها على مصر والشام والحجاز نصيب من المساعدات العثمانية ضد الغزوات البحرية البرتغالية، رغم ما كان من خلافات بين المملكتين على السيطرة على بعض مواضع من جنوب تركيا وشمال الشام، تلك الخلافات التي وصلت إلى المواجهة العسكرية عدة مرات، ثم تدخلت الوساطات بين كل من السلطانين العادلين الصالحين بايزيد الثاني العثماني وقايتباي المملوكي الجركسي، فأوقفوا الصراع، وعادت العلاقات الحسنة بين الدولتين كما كانت عليه لما يزيد على قرن من الزمان.

فقد أرسل السلطان بايزيد الثاني الأسلحة والمعدات إلى دولة المماليك إبان السلطان حكم قانصوه الغوري، لما شَكَّل

الوجود البحري البرتغالي في مدخل البحر الأحمر وبحر العرب خطرًا كبيرًا على سواحل غرب الجزيرة العربية، واليمن، ومدخل الخليج العربي، وهدد ذلك القوافل التجارية المسلمة الداخلة إلى البحر الأحمر والخارجة منه، بل مَثَّل تهديدًا لأرض الحرمين حين استطاع البرتغاليون النزولَ إلى شواطئ الساحل الغربي من الجزيرة العربية.

ولما سقطت السفن المرسَلة من بايزيد الثاني إلى قانصوه الغوري المحملة بالذَّخائر في يد فرسان يوحنا الصليبيين المسيطرين على جزيرة مالطة آنذاك، والذين كانوا ينشطون في مهاجمة سفن المسلمين وسواحلهم، أرسل بايزيد بعد ذلك أسطولًا عثمانيًا كاملًا؛ ليعاون الأسطول المملوكي في قتال الأساطيل البرتغالية.

وعندما سَرَى الضعف والوهن والتخاذل عن الجهاد في نفوس عموم المسلمين، بقيت بقية من المسلمين تستشعر وحدة كيان الأمة في آلامها وآمالها؛ فهذا شيخ مغربي يدعى الكيلاني كان يجاور الحرمين الشريفين يسارع إلى حَثِّ المسلمين في الحجاز على الجهاد بمجرد وصول الأخبار من الديار المصرية عن وقوعها في أيدي الفرنسيين بقيادة نابليون بونابرت، ولا يكتفي بالحض على الجهاد، بل يخرج بمن أجابه إلى نصرة المسلمين إلى ساحل البحر الأحمر، ويعبرونه إلى مصر على قلة عددهم؛ ليقاتلوا الفرنسيين، فيلتف حولهم بعض المصريين، ويؤازرونهم، غير أنهم لم يكونوا يثبتون في المعارك ثباتَ أولئك الحجازيين الذين خَلَّفوا الديارَ والأموال والأهل، رغبةً في نصرة إخوانهم، ووَدَّعوا حياة الأمن والهدوء، وأَقْحموا أنفسهم في المعامع يلتمسون الموت مَظَانَّه؛ دفاعًا عن أعراض المسلمين، وأموالهم، وأراضيهم.

ولم يكن الفتى الحلبي سليمان بغريب عن تلك الثُّلَّة التي باعت نفسها لله تعالى في زمن عَمَّ فيه الخُذْلان والخَوَر، فرحل من أقصى الشام إلى أرض مصر؛ ليقتل كليبر قائد الجيوش الفرنسية في مصر بعد بونابرت، وقد ظل رحمه الله تعالى يردد الشهادتين وآيات القرآن بعد أن أحرق الفرنسيون يدَه التي قتل بها كليبر، وأجلسوه على خازوق، وتركوه لساعات طوال، تأكل الطيور من جسمه وهو حي، حتى أشفق عليه جندي فرنسي من طول الآلام فعَجَّل قتله بعد رحيل الضباط من حوله، وكانت هذه القِتْلة البشعة لسليمان الحلبي هي حكم المحكمة الفرنسية التي تَشَكَّلت عقب مقتل كليبر؛ لتحكم في قاتله بقوانين فرنسا داعية الحرية والتمدن المزعوم، ولا زال الفرنسيون يحتفظون بهيكله العظمي إلى الآن في أحد متاحفهم، ويأبون تسليمه للمسلمين.

هكذا كانت أمة الإسلام كالجسد الواحد، وهكذا ينبغي أن نسعى إلى أن تعود مرة أخرى.

تُرى هل يرجع الماضي فإني
أذوبُ لذلك الماضي حَنينًا

والحمد لله أولًا وآخرًا.

قلعة على جزيرة نائية

يسرا جلال



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فقد فر محمد بن خوارزم شاه من جنكيز خان من مدينة لأخرى تاركًا دولته و شعبه وأرض الإسلام ليخترقها التتار بكل سهولة.

فممَّ كان يهرب؟

من مصير سمعه كثيرًا في الأسابيع السابقة، بخارى احترقت تمامًا، صارت خاويّة على عروشها، قُتل كل من فيها، أسروا الذرية والنساء، فعلوا في النساء الفواحش في حضرة أهليهن؛ مِن المسلمين من قاتل دفاعًا عن أهله حتى قُتل، ومنهم من أُسر فعُذب حتى قتل، وعلا النحيب في المدينة وسيق الأسرى إلى سمرقند.

لم يفرق التتار في المعاملة بين المجاهدين والعلماء الذين تحصنوا في قلعة المدينة وحاولوا قتالهم وبين أولئك الذين رأوا أن لا طاقة لهم بجيوش التتار الهمجية وفتحوا لهم أبواب المدينة؛ بل وعاونوهم على ردم الخنادق حول القلعة ظنًّا منهم أنهم بذلك سيأمنون التتار، الذين ظهر بعد عشرة أيام من حصار القتال أنهم {لا يرقبون في مؤمن إلّا ولا ذمة}.

التتار لا يعرفون الرحمة، إذن ما الحل أمام محمد بن خوارزم شاه السلطان وحاكم الدولة الخوارزمية الشاسعة؟ الحل عنده كان الفرار في أرجاء بلاده الشاسعة؟ هل كان يظن أن التتار الذين تمكنوا بكل بساطة من جعل بخارى أثرًا بعد عين ستقف جحافلهم دون سبب؟ هل كان يظن أن عامل الوقت سيخدمه أو سيطيل من أمد حكمه؟

يعلم محمد بن خوارزم شاه جيدًا أن جيرانه المسلمين لن يساعدوه؛ فجيرانه الغورييون في الهند على خلاف كبير بل وصراع وحرب، ودولة الخلافة الكارتونية في بغداد يفصلها عن دولته الخوارزمية الدولة الباطنية المجوسية الإسماعيلية التي أعتبرها علماء المسلمون خارجة عن الإسلام لن تنفعه في مواجهته مع أولئك المتوحشين من التتار.

ليت شعري أين كان المسلمون وقت هذه المجازر؟ كلٌّ رفع راية على رقعة أرض صغيرة وظن أن الحدود الوهمية التي رسمها لأرضه ستبعد عنه العدو، تلك الأميال بينه وبين القطر الذي انتهكه العدو تحميه من التتار، ليت شعري أين الغضبة لانتهاك الحرمات؟ أين اللوعة لضياع الدين وضياع النفس والمال؟

وها هم التتار بعد أن اقتحموا بخارى استاقوا أسراها على أبواب سمرقند؛ فالأسرى قطاع مهم في الجيش التتري، يجبر بعضهم على القتال في صفوف التتار، ومن يأبَ يُقتل في حينه ليبث قتله الرعب في قلوب من بقي حيًّا، ويصفّ

الباقون في الصفوف الأمامية يتمترس بهم التتار ويجعلونهم حصونًا بشرية يقاتلون مِن ورائها.

وأمام هذا الهول هربت الحامية العسكرية التي تركها السلطان لحماية المدينة العريقة والحاضرة الإسلامية سمرقند، فر الجيش ورفض القتال؛ فما كان من أهل المدينة إلا الاكتتاب فيما بينهم وتكوين جيش منهم، جيش من أهل المدينة لا يحسنون القتال ولم يتدربوا عليه، كان عددهم كبيرًا، سبعون ألف مقاتل، ولكن ما فائدة العدد الكبير أمام جيش همجي يحكمه طاغية يحركه هدف واحد هو السيطرة على العالم كله.

وفي سمرقند دفع المسلمون ثمن عدم اكتراثهم بالتربية العسكرية لأبنائهم، دفع المسلمون ثمن عدم تقديرهم للقوى المحيطة بهم والأخطار المحدقة بوجودهم، وكان الثمن غاليًا!

خسر المسلمون سبعين ألفًا من خيرة رجال سمرقند، بعد أن تظاهر التتار بالانسحاب ليخرج المسلمون وراءهم ليقاتلوهم ويتركوا مدينتهم دون حامية تحرسها، ووقع المسلمون في (الكمين) وسقط السبعون ألفًا، وخرج الجيش النظامي ليسلم سلاحه طالبًا الأمان، وسلموا السلاح ولكن لم ينالوا الأمان، فقد وضع التتار السيف فيهم وقتلوهم، بحثوا عن حياتهم فلم يجدوها؛ فالحياة ليست بيد العدو!

وسقطت سمرقند كما سقطت بخارى، وجنكيزخان لا هم له سوى الوصول للسلطان محمد ليعلن سيطرته على هذه الدولة الفسيحة، ولذا كان الدور على العاصمة أورجندة.

ولكن أورجندة تختلف كثيرًا عن بخارى وسمرقند؛ فالمدينة يفصلها عن الجيش التتري نهر جيحون، كما أن السلطان اهتم بتحصينها خوفًا على عائلته، ولكن الجميع هنا مطمئن تمامًا فخطر التتار بعيد عنهم، النهر سيحميهم خاصة أن التتار لا يملكون سفنًا يعبرون بها النهر، وسيشكل النهر حماية طبيعية.

لكنه جلد الفاجر وعجز الثقة، هيهات للنهر أن يقف أمام همة عالية وطموح واسع تدفعه عقيدة قوية، هيهات للنهر أن يحمي سلطنة من المتخاذلين، هيهات للنهر أن يقف أمام سنن الله في خلقه!

عشرون ألف تتري فقط كان عددهم كافيًا للسيطرة على ملايين من أمة كبيرة رضت بالهروب، وقنعت بالذل وظنت أن الفرار أمام العدو والاستسلام له سيهب لها الحياة!

لا تسلني أين كان المسلمون حين صنع التتار أحواضًا خشبيةً كبيرة ألبسوها جلود البقر كي لا يغمرها الماء، ووضعوا فيها سلاحهم وجعلوا خيولهم في المقدمة -والخيول تجيد السباحة- وتعلقوا هم بأذنابها ليفاجأ المسلمون بالتتار على الضفة الغربية من النهر تمامًا أمامهم وفي عمق العاصمة.

فر الجنود المسلمون وتفرقوا في كل ناحية، وخرج سلطانهم خوارزم شاه لا يلوي على شيء، ليس أمامه سوى خطة واحدة يجب أن تنجح، خطة يبحث فيها عن حياته، خطة الفرار بالنفس، خطة الهروب.

بعد أن فر هاربًا من أورجندة العاصمة إلى سمرقند ثم مازندران ثم إلى الري فهمذان حتى وصل إلى بحر قزوين، والعدو خلفه، والخزي يتبعه أينما كان.

تُرى، فيمَ كان يفكر هذا السلطان الذي ترك ملكه لينجو بنفسه؟

هل فكر في المسلمين الذين فقدوا حياتهم؟ هل فكر في الدماء التي أريقت؟

لم يكن خوارزم شاه ضعيفًا فقد كان ملكه واسعًا أداره لواحد وعشرين عامًا، أجاد فيها إدارة الملك، واهتم فيها بأحوال البلاد والعباد ولم يكن بالسلطان المتنعم المترف، وكان طيلة حكمه يهتم بالعلماء ويعظمهم ويناظرهم.

أين كان الخلل إذن؟

تذكر خوارزم شاه حين جمع كل الممالك المحيطة بسلطنته تحت رايته، ولم يكن له ذلك إلا بقتل من وقع تحت يده من الملوك، ولولا هذا لما اتسع ملكه من العراق إلى تركستان، ومن غزنة إلى جزء كبير واسع من بلاد فارس.

نعم لقد خسر دعم المحيطين به بعد أن أوغر صدورهم وقتل ملوكهم ولم يضمهم لصفه حال اتساع ملكه وسطوة يده؛ فما كان منهم إلا أن تخلوا عنه جميعًا وقت محنته!

حسنًا، هرب من الموت حتى وصل إلى جزيرة في عمق البحر، نجح في خطته، خطته لم تكن التصدي للتار، خطته لم تكن حماية المسلمين، خطته كانت وبوضوح بصراحة الفرار! وقد تم له ما أراد لقد فر ونجا بنفسه.

ولكن ماذا تغني عنه نفسه؛ فبعد أن عاش ملكًا يحوطه الخدم وينتظرون إشارة من يمينه، ها هو الآن طريدًا شريدًا لا يملك من الدنيا سوى ما يستر به جسده الذي فر به هاربًا.

ولكن جسده هذا لم يمهله، كان الموت أسرع إليه في هذه القلعة القديمة على الجزيرة النائية التي استوطنها هاربًا.

هرب من الموت شهيدًا ليموت طريدًا، هرب من الموت مقبلًا ليموت مدبرًا، مات فقيرًا لم يجدوا ما يكفنوه به سوى فراش كان ينام عليه.

ذهب الملك والجاه والسلطان، وبقيت الغصة في الحلوق، وبقيت العبرة لمن يعتبر!

الموت ليس بيد العدو، والعدو لا يهب الحياة.

الذئب لا يأكل إلا الغنم القاصية.

الثقة وحدها لا تكفي تحتاج معها الجلد ؛ إذ العجز يجعل من الثقة صفرًا كبيرًا في أقصى يسار المعادلة.

نعوذ بالله من الخذلان، نعوذ بالله من جلد الفاجر وعجز الثقة، نعوذ بالله أن يكون بأسنا بيننا شديدًا، نعوذ بالله أن تكون قلوبنا شتى، نعوذ بالله أن نلقاه مدبرين غير مقبلين!

زفرة!

أحمد عادل



كان يومًا شاقًّا، عدت من العمل في غاية الإرهاق، أقاوم النوم بشدة حتى تأتيني أختي بطعام العشاء..

ارتميت على الأريكة وعيناي تبحث عن جهاز التحكم لتشغيل التلفاز، وبالمناسبة هو (صنع محلي).

ها هي القناة الأولى، وها هو برنامج الأطفال الشهير: "يوم مع بطل من أبطال الإسلام"، وكان موضوع الحلقة (شيخ الإسلام ابن تيمية)..

وكانت حلقة كرتونية شيقة؛ ولكني تحولت إلى قناة أخري، قناة الأخبار العالمية، وكان اللقاء مع المحل السياسي العلامة (...)، ولكن قطع البرنامج فجأة خبر عاجل!

"حاولت أمريكا تلك الدولة اللقيطة رد اعتبارها من جديد بضرب بعض المناطق بصحراء أرض الخلافة الإسلامية"!!

تعجبت! كيف تجرؤ على ذلك بعدما تناسى الخليفة –حفظه الله– ماضيها الأسود المشئوم وسمح لبعوثها –بعد إلحاح شديد– بالدراسة بالجامعة الإسلامية؟! يا لخبثها!

"فيما كان رد أمير المؤمنين –حفظه الله– بعد طرد المبعوثين أن دعا إلى قمة إسلامية عاجلة، وقد لبى الدعوة السادة ولاة الشمال الأفريقي ووسطه مع بعض ولاة الدول الآسيوية وغيرهم، وخطبهم الخليفة خطبة عصماء سنعرض طرفًا منها –إن شاء الله– بعد الفاصل".

كان الفاصل صوت الشيخ عبد الباسط يقرأ آيات الجهاد من سورة التوبة والأنفال..

الآن عاد المذيع وهو ينقل إلينا خطبة الخليفة صوتًا وصورة:

"إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونستغفره ... " ثم تنهد.. ولاحت علي وجهه أمارات الغضب.. ثم استطرد قائلًا:

"أما بعد: فإن الكلام لا يحتاج إلى ديباجة ولا تزيين؛ فيبدو أن المثل القديم كان على حق: اتق شر من أحسنت إليه! أوجه هذه الرسالة من أمير المؤمنين إلى كلب الروم: إن كنت تحاول جس النبض فردي ما ترى لا ما تسمع؛ لآتينَّك بجنود لا قبل لكم بها، و...".

وفجأة انقطع الإرسال بينما أنا أسمع وأنتشي عزةً وفخرًا!!

قطعته أختي وهي تقول: "يا أحمد قم هيا أفق هاك طعام العشاء"!

ها؟ ماذا؟ أين؟!

شعرت بغصة شديدة في حلقي.. تذوقت معها مرارة الألم والحزن..

ها أنا ذا على الأريكة مستلقيًا بلباس العمل..

أفقت وفي يدي جهاز التحكم.. أفقت فرأيت مذيعة تنقل خبر اجتماع رؤساء الدول العربية، وإذا بهم قد اجتمعوا على كلمة واحدة وصارمة:

"ندين ونشجب –وبقوة– كل عمل إرهابي قامت به إسرائيل"!!